المشرق

السنة الثالثة والثلاثون

تموز – ايلول ١٩٣٥

جريدة

توزيع مال خراج لبنان الاميري

في عهد الامير بشير الشهابي

نشرها وعلّق عليها

الخوري قسطنطين الباشا المخلصي

توطئة

بين اوراقي القديمة ورقة كبيرة من الورق العبادي القوي السمين الذي كان يُستعمل لكتابة الاوامر السلطانية والصكوك الديوانية، طولها ٨٠ سنتي من المتر وعرضها ٥٢ سنتي. وقد كُتبت على صفحتين او وجهين، وكل صفحة منها مقسومة طولًا الى اربعة اقسام متوازية باربعة عواميد او حقول. وارى انها لشكلها الطويل هكذا يُقال لها قائمة. وهي تتضمن توزيع مال خراج لبنان الرسمي المفروض دفعه للامير الكبير

الحاكم ، الذي كان يطلق عليه لهذا السبب المال الاميري ويقال له بلغة العامة الميري والميرة.

ولا ريب ان هذه الجريدة كُتبت في عهد الامير بشير شهاب الثاني نحو سنة١٢٤٨ هجرية ، اول عهد ابرهيم باشا في لبنان الموافقة سنة ١٨٣٢ مسيحية من اول ايار ،

اولًا لانه ذُكر فيها مرارًا سنة ١٢٤٤ وسنة ١٢٤٥ وسنة ١٢٤٧ باعتبار انها قد سلفت وعبرت.

ثانياً لان تولي ابرهيم باشا شؤون لبنان كان يقتضي عمل مثل هذه الجريدة، وقد اشار الى ذلك طنوس الشدياق بعبارة وجيزة في صفحة ٥٧٧ من كتابه «تاريخ أعيان لبنان» .

ثالثاً لان صنف الورق الذي كتبت عليه ، وشكله ، والخط الرقمي الديواني الذي كتبت به ، لا تدع لنا سبيلًا للشك في هذا الامر.

رابعاً لان هذه الجريدة قد خلت من ذكر املاك الامير بشير واملاك اسرته الشهابية . وكما يعلم كل من له معرفة بتاريخ لبنان لذلك العهد انه لم يكن على هذه الاملاك مال ميري مطلقاً.

خامساً لكون مضمونها ينطبق في بعض مفرداته على ما وقفنا عليه من الوثائق الرسمية كالحوالة المالية بامضاء الامير وختمه على ارزاق دير المخلص.

وجدنا هذه القائمة بين اوراق المرحوم يوسف بك المبيض مع سواها من الوثائق الرسمية المهمة المفيدة لتاريخ لبنان في ذلك العهد ، تكرم بها صهره المرحوم الشيخ ابرهيم سمعان (من مغدوشة) والد مجيد افندي سمعان مدير مال الكورة حاليًا. وكان يوسف بك المذكور عمدة النصارى في جنوب لبنان في عصره ، خلفاً لوالده جرجس المبيض، ولم يكن احد من النصارى في اقليم التفاح واقليم جزين واقليم الخروب يساويه بغناه وبسعة املاكه وكرمه وشجاعته وبأسه وعلو شانه . وقد جعله شكيب افندي ، وزير الخارجية العثماني الموفد الى لبنان سنة ١٨٤٦ ، وكيلًا للنصارى في ديوان قائمقام الدروز ، عندما قسم

لبنان قسمين يتولى قسماً منه قائمقام من النصارى في كسروان ، والقسم الآخر قائمقام من الدروز في الشوف . وقد تولى يوسف بك امر مساحة لبنان مراراً هو وابنه حبيب كلما تكررت الاوامر بذلك من اولي الشان في ذلك العهد الكثير التقلبات ، كما لا يخفى . ولما تشكلت المتصرفيــة في لبنان ، بعـد حوادث سنة ١٨٦٠ ، تعيّن يوسف بك عاملاً ومديراً لاقليم التفاح بايماز فؤاد باشا . ولبث في وظيفته هذه كل مدة متصرفية داود باشا ، ونصرالله فرنكو باشا ، الى ايام رستم باشا . وقد منحه فرنكو باشا لقب بك مكافأة له على حسن قيامه بخدمته هذه .

واذ رغب اليّ كثيرون من الاصدقاء ان انشر هذه الجريدة القديمــة في مجلة « المشرق » الراقية ، واعلق عليها شرحاً وجيزاً لبيان اصلها وايضاح ما فيها من الاشكال ، نزلت عند رغبتهم توخياً لما ارادوا من نشر ما انطوت عليه من الفوائد التاريخية والجغرافية والمالية الخاصة بلبنان الشهابي . وهي على ما لا يخفى وثيقة رسمية يصحّ الاعتماد عليها ، كما سبق القول . واذا لم تعدّ رسمية لخلوّهـا من امضاء وختم الامير ، او احد اصحاب الشان ، فهي شبه رسمية ، وهي، على كل حال، طرفة نادرة بل فريدة في بابها ليس لها نظير فيما نعلم . واذ مضى عليها اكثر من مئة سنة في زوايا الخبايا صارت لا محالة في نظر اهل البحث والتنقيب اثراً كريماً من آثار السلف يحلو نشره ويحسن حفظه في اذهان القراء . وهي، على ما تضمَّنت من الفوائد والمعلومات الراهنة عن حالة لبنان في تلك الايام ، فيها مجال للنظر في الفرق بين العهدين الماضي والحاضر مما يدعونا الى القول سبحان الباقي الذي يغيّر كل شيء ولا يتغيّر .

ومن اهم ما يلاحظه المطالع النبيه في هـــذا التقويم ان اكثر الاراضي في لبنان كانت حينئذٍ تخصّ الامراء وكبار المشايخ اصحــاب المقاطعات الواسعة الشاملة لعدة قرى وضيع شتى والصغار منهم اصحــاب الارزاق الكثيرة في بلدتهم التي يقيمون فيها .

فقد كان في لبنان منذ القديم ، ولا سيما في الشوف ، عدة طوائف من رتبة المشايخ يفوّض الامير الى احد افرادهم الحكم في مقاطعة او عـــدة مقاطعات

اكثرها من املاكهم يتفقون عليه خلفاً لابيه وجده من عهد الامراء بني معن ، او من عهد الامير حيدر شهاب بعد موقعة عين دارة التي جرت نحو سنة ١٧١٢ بين حزب اليمنيين والقيسيين . فــان الامير المشار اليه ، الــذي كان على راس القيسيين ، احدث انقلاباً اجتماعياً مهماً في طبقات الناس من سكان لبنان بعــد انتصار القيسيين فيها ، وانخذال اليمنيين تمام الانخذال . وكذلــك فعل الامير يوسف شهاب ، بعد ان تولى من قبل وزير طرابلس على بلاد جبيــل والبترون وما يتبعهما سنة ١٧٦٣ ، ولاسيما بعد تغلبه على المشايخ بني حمادة المتاولة الذين كانوا يتولون قبله هذه البلاد ، فانه احدث انقلاباً مهماً في طبقات سكان هذه البلاد بان اقطع عــدة قرى لذوي الزعامة الذين اعالوه على قتال بني حماده . فانه جعلهم برتبة المشايخ ، واقطع لهم الاقطاعات الكافية واقر من كان سابقاً منهم كذلــك . واولهم الشيخ سعد ابن الخوري صالح من رشميا ، والشيخ سمعان البيطار من غوسطا (كسروان) الذي سكن بلاد البترون وكانا كلاهما مدبّرين لاموره ، ومنهم الشيخ جرجس ابي صعب اكبر فوارسه المشهورين . ومنهم بيت ابي طربيه في تنورين من بلاد البــترون العليا ، وبيت كرم في اهدن وزغرتا ، وبيت الشدياق ابي خطار في عينطورين ، وبيت الخوري في اهمج من بلاد جبيل ، وغيرهم ، واكثرهم موارنة . ومنهم مسلمون مثل بيت رعد في الضنية . واما مشايخ بيت العازار في اميون من الكورة ، فقد كانوا كذلك من عهد قديم جداً قبل عهد الامير يوسف . وكانوا يلتزمون مال الكورة من قبل وزير طرابلس .

وكان الامير الكبير الحاكم اذا اختار رجلاً من لبنان لتدبير اموره من غير المشايخ ، او كاخية له ، رقاه الى رتبة المشايخ وصار يكتب له « الاخ العزيز » ، واقطعه بعض الضيع كما فعل الامير يوسف مع سعــد الخوري صالح وسمعان البيطار . وكما فعل الامير بشير مع بني الــدحداح ، ومع يوسف ابي انطون باخوس الذي اتخذه كاخية له الامير حسن شهاب ، اخو الامير بشير في غزير . وهذا كان شان كل امراء بني شهاب . واذا لم يكن الكاخية من لبنــان اكتفى الامير باعطائه لقب المعلم نظير المعلم بطرس كرامة الحمصي .

ولا يخفى ان لا ذكر في هذه الجريدة لزحلة ولا لمعلقة زحلة ، كما لا ذكر فيها لعدة قرى كانت ذات شأن في لبنان لذلك العهد. ولعل السبب لعدم ذكر زحلة هو انها كانت حينئذٍ في عهدة الامراء اللمعيين المذكورين باسمائهم ، وما كان في عهدة كل واحد منهم، ولاسيا علي وسعيد من آل مراد. ويقول صديقنا الاستاذ عيسى المعلوف في كتابه تاريخ زحلة،صفحة ١٤٧،ان الامير بشير وضع على زحلة ٢٥ قنطار سمن تصل الى داره وقد استبدل ذلك بخمسة عشر الف قرش.

واما المعلقة فقد كانت من املاك ابناء الامير بشير شهاب الخاصة بقاسم وخليل وامين،بعد طرد اصحابها منها بني القنطار الدروز. وقس على ذلك قرى كثيرة لم تذكر في هذه الجريدة مثل كفرشيما والحدث وبعبدا من املاك الشهابيين، مع انه قد ذكر فيها اماكن كثيرة لا شأن لها اليوم قد تبدلت اسماؤها بتقلب الايام حتى خفيت علينا ، او لكونها بقعة من خراج قرية قريبة اليها اهم منها وتابعة لها.

تنبيه : علامات الكسور من القرش التي كان الكتاب يجرون عليها في ذلك العهد هي هكذا :

- ﮋ نصف غرش
- ﮌ ثلث غرش
- ﮍ ربع غرش
- ﮎ ثلاثة ارباع الغرش
- ٥ خمس بارات او خمس مصريات من الغرش الذي هو اربعين مصرية او بارة ، ويقال لها فضة ايضاً

وكانت قيمة الغرش لذلك العهد تساوي سبعة غروش لعهدنا او اكثر من قيمة الغرش المصري ذهباً في هذه الايام.

وضعنا بين هلالين ما زدناه في بعض الاماكن تفسيراً وايضاحاً لبعض اعلام الاماكن المذكورة قبلها بصورة او بصيغة مجهولة او مبهمة ، وقد حافظنا على الاصل تام المحافظة بدون تغيير ولا حذف شيء.

علم مال ميري جبل لبنان

كل مقاطعة بمقاطعتها كما يأتي بيانه

مال واحد

جبل الريحان

بارة	غرش		
٤	١٩٩	لوسي عن ميرة الملاكة[1]	
٤	٣٥	ميدون الملاكي مالين[2]	
٢	١٣٢١	عرمتي	مالين الميري
٦	٣٢٣	العيشية	مالين الميرة
٦	٢١	الجنينات	مالين الميرة
.	١٢١	القطراني	مالين الميرة
٦	٤٦	الدمشقية	حصة حماد مبارك والباقي ضمان مالين الميرة
٦	٣٧١	اللوازعية	مالين الميرة
٨	٤٠٢	بقيرة[3]	مالين الميرة

١) الملاكة والملاكي جمع ملاك بلغة العامة ، وهم اصحاب الاملاك من غير المشايخ ، اصحاب المقاطعة .

٢) المراد بالمالين هنا مال الخراج مضاعفاً لا باضافة مال السنة الجارية الى مال السنة الماضية ، كما يتبادر الى الذهن . بل هو ان الامير كان يفرض في بعض السنين مال الاميري مضاعفاً ومثلثاً وربّما واكثر ايضاً على من كان يعاديه من اعيان لبنان من باب البلص او الطرح ، كما كانوا يقولون في ذلك العهد . او لاستيفاء المال المطلوب من الامير لعبد الله باشا ، فوق العادة . وهذا الامر دليل قاطع لا رد له بان الامير كان مستقلّاً بحكمه . ومعلوم ان اكثر قرى جبل الريحان واقليم جزين واقليم التفاح واقليم الخروب كانت من املاك آل جنبلاط واحزابهم الذين كانوا معادين للامير ، ولاسيا بعد قتل الشيخ بشير جنبلاط في عكا بايعاز الامير سنة ١٨٢٥ ، ومجاهرة اولاده بمعارضة الامير وابرهيم باشا في اول احتلاله لبنان ، ولذلك وضع على املاكهم مالين .

٣) ويقال لها اليوم المحمودية .

دير السيدة عواريت الفوقا	مال	٧ – ١٠	
مال ثاني		٦ ٤ ١٠	٢ – ١٨١

ميري دير مشموشة

عن حصته بصليما النصف	مال	٤ ٤٣	
عن حصته بالحرف	مال	٤ ١٨	
عن حصته في بتدين اللقش	مال	١ – ٧١	
ثاني مال		٥ ٤ ١٣٢	٤ ٢٦٥
عن ميرة الرزقة الذي اشتروها[1] في بتدين من المشايخ قاسم واسعد واولادهم من اصل ٩ ٤ ٥٦ وكالتها – ١٤		٩ ٤ ٤٢	
ثاني مال		٩ ٤ ٤٢	
عن ملك راشد بمكانه غرش ونجم الحاج ١٢ فضة.		٢ – ١	
عن حصة الدير المذكور بالميدان	مالين	– ٨٦	
يخص ملاكة الميدان فلاحين		– ٨٦	٥٢٥
			٩ ٤ ١٤٩٦٦

اقليم التفاح[2].

ليما	مالين	٥ – ٣٨٦	
عين الدلب	مالين	٩٢	
كرخا الفوقا	مالين	٨ – ١٤١	
سراح كيوان	مالين	٧ – ٨٤	
حيترلة	مالين	٧ ٤ ١٠١	

١) يرجع ضمير الجمع في قوله اشتروها الى رهبان دير مشموشة.

٢) كان اقليم التفاح لذلك العهد من املاك آل جنبلاط واحلافهم الدروز واملاك الامراء بيت ارسلان. ولم يكن فيه للنصارى املاك تستحق الذكر، الا املاك يوسف بك الميض الذي كان يملك اكثر من خمس عشرة ضيعة، وبيت الخوري في قرية برتي اجداد المرحوم نخله بك الخوري.

٥ ٧٢ وادي بمنقودين مالين

٥ < ٢٠٥ وادي الليمون مالين

٢ ≤ ٣٢٠ برتي مالين الميره عدا حصة الدولة[١]

٤ - ٣٣٣ كفرحتا مالين الفايض غروش - ١٤٠

٩ < ٩١ بيصور التفاح مالين

٣ < ١٨٧ الحسانيات الفوقا والتحتا مالين

٣ ≤ ١٤٩ المجيدل مالين عدا عن حصة الدولة

٤ - ٢٢٥ جنسنايا مالين بعد ترك حصة عبد الملك خاصة الدولة ٤ ١٢ غرش.

٨ - ٧٩ شواليق مالين الميرة

٤ - ٤٣ كرخا التحتا مالين الميرة منها ما يخص جنابه[٢] ٧ < ١١ غرش الشركة ٧ - ٢

٤ - ٢٨٧ المحاربية مالين الميرة عدا حصة الدولة

٤ - ٢٢٥ عبرا مالين عدا حصة الدولة غروش ٤ - ٨٧

٦ < ١٦٦ زغدرايه مالين الميرة

٥ ٢٣٩ الصالحية مالين الميرة

٢ < ١٨٢ جرنايه مالين الميرة عدا حصة الدولة

٥ ٤٣٨ كفر فالوس مالين
- الشركة ربع الاغراس ٥ < ٢٥
- يخص جنابه ٨ ١٦٩
- الفلاحين ٢ - ٢٤٣

١) كان في بعض القرى من اقليم التفاح املاك تخص سنجق صيدا المجاور لها ويقال لها املاك الدولة. وكانت هذه الاملاك تابعة للولاية مع سكانها الى آخر ايام الحرب الاخيرة. وكان وجودها في قلب هذه القرى اللبنانية مدعاة لمشاكل كثيرة بين رجال حكومة لبنان ورجال حكومة الولاية. فانه في قرية برتي مثلاً كان بيت واحد لا غير يخص الولاية. والباقي منها يخص لبنان. وفي بعض القرى كانت حصة الولاية مشاعة فيها كالنصف والربع. وكان ذلك يشمل الارض وسكانها.

٢) نظن ان المراد بجنابه الشيخ بشير والمراد بالشركة الشركاء معه في رزق القرية

٥ < ٦٥	عريض ناصر	مالين
٥ ≤ ١٢٨	كفرجرة	مالين
٨ ≤ ٧٦	كفرتيه	مالين
< ٢٦٨	بجدليون	مالين
٢٤	جبل الاعور	مالين
١٣٠	مغدوشه	مالين
٣ - ٢١٨	الاسطبل	مالين
١٣٠	الهلالية	مالين
١ ٩٠	كفرشلال	مالين عدا حصة الدولة

عن ميرة جل البرميل في زغدرايه

	يخص حنا الزهار	٩-١
< ٥١٦١ ٨ ≤ ٤	يخص حنا رعد	<
	يخص جرجس الخوري	
٩ - ٢٠١٥٨	واخوته من برتي	٩≤٢

اقليم الخروب

مال ميرة مالين

٢٢٢٧	عانوت
٧٩٧	داريا
< ٨٠٧	حصروت
٤ - ٧٠٢	الزعرورية
٧ ٥٦٧	بسابا
١٠٣	بكيفا
٤ ≤ ٢٧٤٥	شحيم

٤ - ١٠٩٤ مزبود

< ٧٢٠ البرجين

٧ < ٥١٤ سبلين

٨٣٨ كفرماية

< ٧٢٠ الرميلة

١١١٩ المغيرية (مع مجدلونا)

١٠٣ علمان

٨ ٢٠٥٨ جون مع العوارض غروش١٤٥ بعد خصم ديوس[1]

٨ < ٦٦
اسم يوسف بو شقرا
ديوس يوسف بو شقرا واولاد اخوته
عن نصف السرعونيه المشتراة من البطرك مالين ٣٠ (تابعة لجون)
عن نصف الثاني مشترى من الشيخ بشير بموجب الخراج ٣٦<

ﮨ ١٦٣ خربة المراح [مراح الظهر]

٢ < ١٥٣٤٨

---

١) مال العوارض مال كان يُضاف على مال الميري او الديوس ، وهي كلمة لاتينية يونانية من بقايا لغة الروم ومعناها العشر ، ومنها الاسم الفرنساوي dimes ، والمراد بها مال الخراج. وقد وُضع هذا الرسم على املاك بيت ابي شقرا من اهل عماطور التي اشتروها من املاك آل جنبلاط، وكذلك املاك بطريرك الروم الكاثوليك الذى كان يقيم في دير المخلص بجوار جون. وكانت جون كلها او اكثرها من املاك بيت جنبلاط . ولذلك وضع عليها رسم ديوس وعوارض ومالين.

ثم كان دير المخلص لذلك العهد تابعاً بخراجه لقرية جون من اقليم الخروب . وكذلك كان دير السيدة ودير الراهبات تابعين له مع معظم ارزاقهما . واكثر املاكهما في الاصل من الاملاك الجنبلاطية ومن املاك العرامشة، وان كان لهما بعض الاملاك في قرية بسري من اقليم جزين المتقدم ذكرها . ويظهر من بعض اوراق عندنا ان سعيد بك جنبلاط ، ابن الشيخ بشير جنبلاط المشهور ، كان يملك وحده من الاراضي في قرية جون قدر نصفها. وكان عليه بعد سنة ١٨٦٠ ثلث مال الميري ، وعلى الاديرة المذكورة الثلث ، وعلى الاهالي الثلث الآخر وقدر الثلث نحو ١٦٥٠ قرشاً ، وقد كان يزيد هذا المبلغ بزيادة الارزاق المستجدة.

ميرة برجا بموجب خراج سنة ١٢٤٤

مال عن درهم ٦٣٢٣ عن كل عشرة غرش ٢-٦٣٢	٦٣٢-٢	
ثاني مال شرحه	٦٣٢-٢	
عن خلة البوم بموجب حكرها	٦	
بعاصير بموجب خراج سنة ١٢٤٤	٧١-١	١٧٥٨٩ ٨ – ٢٢٤٠
ثاني مال	٧١-١	
دلهون مالين سنة ١٢٤٤	٥٣٦<٦	
الدبية مالين مستجد	٢٨٥<٦	
عن حكر في جبل القبة الى سلوم نادر[1]		

٩ – ٣٧٧٤٧

ميرة الشوف

<	٣٥٤٤	بعقلين	مالين
٦	١٠٢٦	عنبال	مالين
٦	٧٥١	عترين	مالين
٦ <	١٦٤٣	غريفة	مالين
<	٣٩٧	الكحلونية	مالين
٦	٦٨٠	الجديدة	مالين
٧ <	٨٩٢	المزرعة[مزرعة الشوف] ودفتر بيقون مالين ميرة الضيعة	
٤ –	١٣١٣	مالين ميرة الدفتر	
١ <	١٤٣	دفتر القليعة بخراج سنة ٤٥ مال بعد اخراج اسم ميخايل جدعون بالحجج[2]	

---

١) هو سلوم نادر البستاني، اخو المطران عبدالله البستاني، وجد سليمان البستاني الوزير العثماني المشهور، معرّب الالياذة.

٢) ميخائيل جدعون المذكور كان بلوكباشي عند الامير اي رئيس فرقة من الجند وقد سافر معه في منفاه الى مالطه. ولذلك لم يكن على املاكه مال الميري بطريق المافاة والانعام.

< ١٤٣ ثاني مال

١ < ٤٩ ميرة السمقانية ميرة سنة ١٢٤٥

٤ < ٤٩ شرحه ثاني مال

٨٨٠ المختارة مالين

< ١٧٨٩ حارة حريم[1] مالين

٤ ≤ ١٣٣٧ حارة جندل مالين

٦ < ٧١٣ عين قني مالين

≤ ١٠٠٩ باتر مالين

٦ ٨٠١ جباع مالين

< ٧٥٣ مرستي . مالين

٤ – ٢٨٣١ بيان تفريق ميرة نيحا على الاربع طوايف

بني قعيق مالين ٣<٦٦٦

بني خميس مالين ٩<٨٠٧

بني ركين مالين ٥ ٨٣٢

نصارة نيحا مالين٧≤٥٢٤

٢٠٧٥٢ ٢٨٣١–٤

١٧٦٠ ميرة بعضران [بعدران] مالين

٦ ٨٧٥ الخريبة مالين

٤ – ٢٣٠٣ المعاصر مالين

٤ – ٤٧٣ بطحة مالين

٥ – ١٠٧١ دفتر براني عماطور وبعضران

---

١) ليس في الشوف بلدة بهذا الاسم. ولعل المراد بها دار الشيخ بشير جنبلاط اطلق عليها هذا الاسم «دار الحريم» بعد قتله في عكا بايعاز الامير. وكانت سنة ١٨٣١ و١٨٣٢ خالية من اولاده الذين هاجروا من لبنان وانحازوا الى عسكر الدولة العثمانية لمحاربة جند ابراهيم باشا والامير بشير. ومما يرجح هذا الظن عظم المبلغ الباهظ الذي فرض عليها . وربما يكون المراد بها مزرعة حوش حريم المجاورة للبقاع الغربي، وهي من املاك آل جنبلاط.

٤ ٨٦٩ نيحا والشامخه وعاريه دفتر براني

٢٦٠ العوامية على اهالي باتر دفتر براني مالين

٧ – ٢٨٣٧٦ ١٢ عن رزقة في المثانيه وعاريه الى سلوم نادر[1] حكر

٦ ≤ ٦٦١٢٣

مال ميرة العرقوب

٤ – ٢٤٣٧ ميرة الباروك مالين

٦ ١٣٤٤ الفريديس مالين

٦ > ٨٠٧ بتلون التحتا مالين

> ٢٦٧ بتلون الفوقا مالين

٥٠٠ عين وزين مالين

٤ ≤ ١٢٠٦ بهريه مالين

١٤٠٨ كفرنبرخ مالين

٦ > ٢٤ دفتر مستجد في عين وزين عن ارزاق مبتاعة من الترك عن مالين

١٢٢٩ مجدالمعوش مالين

٤ – ١٣٦٠ بريح مالين

٨ > ١١٣٥ ميرة عندارة ميرة مشايخ بيت عطاالله

٤ ٧٧٨ مشايخ بيت العقلين وبيت زينونه

٢ – ٧٣٩ ميرة نصارة عنداره مالين

٦ ≤ ٢٥٤ ميرة كفرنيس وشوريت والمريجات من خراج عنداره مالين

٦٠٤ العزونيه بعد خصم اقلام حرف لوزه

٣ ≤ ١١٧١ دفتر الحمره ووادي الدلم بخراج سنة ١٢٤٥ مالين

≤ ٤٣ دفتر حما الحمره والنونه مال واحد

---

١) سلوم نادر: راجع ص ٢٢٥

١١٦ ≤ ٨ دفتر كفرنيس مالين

٢٨٤ ≤ ٨ دفتر البصنيه مالين

٨٩٦ عهدة الشيخ حسين وسلمان العيد عدا كفره وعين زحلته مال واحد

٣٤٤ < ٨< الورهانيه مال واحد

٧٧٦ – ٣ اغميد مال

٢ ١٩٧٤٩ ١< ١٠١٧ مال ثاني

٨٥٨٧٢≤ ٨

عهدة المشايخ النكدية[1]

١١٩٤ < ٣ الدير [ديرالقمر] بعد خصم ميري بطرس الجاويش[2] من الاصل ≤١٩ سنة ١٢٤٤ مال

٥١ ≤ ٩< دفتر الجنينات

٤٥٠ ديردوريت مال

١٦٥ ≤ ٧ الجاهليه مال

٣٧٠ ≤ ٧ كفرحيم مال

٤٦٨ ≤ ٧ دير بابا مال

٣٤٣ < ٦ دفتر دميت مال

٤٧٥ < كفرفاقود مال

٣٢٣ < ٣ر بشتفين مال

١٤٣ – ٣ر دركوشه مال

٢٠٣ < ٣ر كفرقطره مال

---

١) يظهر ان المشايخ النكديين عادوا حينئذٍ الى الدخول في خاطر الامير بشير. ولذلك نرى ان قد وُضع على القرى التي بعهدتهم مال واحد.

٢) بطرس الجاويش كان من كبار تجار ديرالقمر بالحرير والشرانق وكان عميل الامير بشير يشترى حاصل مواسمه. ولهذا السبب اعفي من رسم الدبوس على املاكه. وهو والد خليل الجاويش، اول قائمقام لزحلة والكورة.

١٩ ≤ ٢٧٣ دفتر مزارع الشوف خراج سنة ٤٥
بعد خصم ضريبة المراح وبصنيه

٧ ≤ ٧١٩ عبيه مال

٣٢ - ٢٠٥ بعورته منها ٧٣ ٢ بيت عز الدين
٣٢ ≤ ١٣١ بيت العياش

٣٩ - ٨٢٣ كفرمتى مال

٤٧٠ الناعمي مال

٦ ≤ ٦٠٦ البنيه مال خراج سنه ١٢٤٥

١٤٠ عين كسور مال

٣ ≤ ٢٨٣ سلفايا مال

٢ ٧ ٢ ١٦٦ دفتر بقعات مال خراج سنة ١٢٤٥

٦ ١٩ ميري المشايخ حمود وناصيف مال عدا اسمهم

٤ ٣٦١ دفتر اقلام الشجار

- ٩ ٢ ٨٢٦٠. ثاني مال

٨ ≤ ١٥٨٠ عن دفتر عين صوفر مالين الميرة

-٢١ ≤ ١٨٣٣٠ ٤ - ٢٢٨ دفتر حرف لوزي مستجد سنة ١٢٤٤ مالين

عهدة الشيخ شبلي عبد الملك

- ٣٦٠ شانيه مال

٢ ٧٢٨ بحمدون مال

- ١٧ حصته من كفرعمي مال

٤ ≤ ٠٥٧ الاقلام مال

٨ ٢ ٢٣٢٧ ٤ ≤ ١١٦٣ ثاني مال

عهدة الشيخ فندي

٤ - ٨٢٣ مجدل بعنا مال

- ٣٦٠ المشرفة مال

ـ ١٧٨ الاقلام مال

٧ ٢ حصته من كفرعميه

٨ ٢ ٢٧٣٨ ٤ ـ ١٣٦٩ ثاني مال

١٠٩٢٩٦٤٧٢ـ

عهدة مشايخ التلاحقة اولاد الشيخ كليب

٢ ٦٦٢ شارون مال

ـ ٣٦٠ الرمليه مال

٢ ٥٥٠ بتاتر مال بعد خصم فرايض المشايخ الصغار سنة ٥٢

١٨٥ مصربتي عدا الزيتون مال

ـ ١٥ ما يخصهم من كفرعميه مال

١٤٢ الاقلام

ـ ٣٦٠ شرتون مال

ـ ٣٩١ بدغان مال

٥٣٣٤ ٢٦٦٧ مال ثاني

٣٧ ـ ٣٧ ميري سيريا على مشايخ بيت الخوري[1] مالين

ميري ارزاق المشايخ التلاحقة في بسوس

ميرة جديدة خارج عن دفترهم مالين

عهدة اولاد الشيخ ابرهيم عن غرب الفوقاني مال

ـ ١١٩ حصتهم[2] من شملان ثلاثة ارباع

٥٠ حصتهم من عيناب الربع

---

١) مشايخ بيت الخوري كانوا يسكنون في رشميا وعين تراز. وسيريا محرفة عن سير وهي قرية بجوار رشميا. ولم يذكر في هذه الجريدة ما يجب ان يدفعوه للامير عن رشميا وعين تراز التي كانت بعهدتهم وربما كان سبب ذلك اخلاص موالاتهم للامير بشير.

٢) ضمير الجمع في حصتهم يرجع الى المشايخ التلاحقة. وضمير المفرد بخاصته يرجع الى الشيخ ابرهيم.

٧٥ حصتهم من عيتات الربع

٤ < ٣٩ حصتهم من كيفون قيراط ٩

< ٨١ بمكين والرويس خاصته

٥٠٨ ٦ < ١٤٢ حصتهم من بسوس قيراط ٩

عنا يتبع المشايخ التلاحقة

٣ - ١١٣٣ عاليه خاصته

≤ ٣٣ حصتهم من رحتا (رحاتا) قيراط ٩

٦ ٢٣٣٤ ٣ ١١٦٧ مال ثاني

المشايخ المرقومين عن غرب التحتاني

- ٦٦٥ بشامون خاصته مال

٥١٤ دير قوبل خاصته مال

٨٨ الفساقين النصف مال

٢٥٣٤< - ١٢٦٧ ثاني مال

عهدة اولاد الشيخ بشير تلحوق في غرب الفوقاني مال

≤ ٩٣ حصتهم من عيتات قيراط ٧< مال

٤٥٠ حصتهم من بيصور تلات ارباع

١٠٠ حصتهم من بجدليا النصف

٥ ٢٨ حصتهم من رحاتا قيراط ٧<

٧ < ٦٠ حصتهم من كفره النصف

٥ ≤ ١٩ حصتهم من شملان قيراط ٣

٣٠ حصتهم من كيفون قيراط ٧<

≤ ١١٨ حصتهم من بسوس قيراط ٧<

٧ ٩٤٦ ٤٥ حصتهم من القماطيه النصف

عهدة اولاد الشيخ بشير تلحوق في الغرب التحتاني مال

٤٠٠ حصتهم من عين عنوب النصف

	٣٥٨	حصتهم من عرمون	النصف
	٧ ٩١	حصتهم من سرحمول	النصف
	– ٤٤	حصتهم من الفساقين	الربع
٤ ≤ ١٧٨٦	٧ – ٨٩٣	مال ثاني	

عهدة الشيخ حمد تلحوق

غرب الفوقاني مال

	١٣٠	حصته من عيتات قيراط	١٠<
	١٥٠	حصته من بيصور	٦
	١٠٠	حصته من مجدليا	١٢
	٥ ٢٨	حصته من رحاتا	٧<
	٧ < ٦٠	حصته من كفره	١٢
	٥ ≤ ١٩	حصته من شملان	٣
	٣٠	حصته من كيفون	٧<
	≤ ١١٨	حصته من بسوس	٧<
	٤٥	حصته من القماطية	١٢
	١٥٠	حصته من عيتات	١٨
٤ ≤ ١٦٦٤	٧ – ٨٣٢	مال ثاني	

عهدة الشيخ حمد تلحوق

الغرب التحتاني مال

	٤٠٠	حصته من عين عنوب	النصف
	٣٠٨	حصته من عرمون	النصف
	٧ ٩١	حصته من سرحمول	النصف
	– ٤٤	حصته من الفساقين	الربع
٤ ≤ ١٧٨٦	٧ – ٨٩٣	مال ثاني	

ـر٢<٢٠٢٦٢١

جناب الامير بشير [ارسلان] عن الشويفات والدفاتر

٢٠٤٨ الشويفات مال

٢ ٣٥٢٧ دفتر الجرامنيه وكفرشيا وفرطه بخراج ٤٥

٤ < ١٤٧ دفتر خلده مال مستجد ٤٥ بسطره درهم ١٢

٩ – ٦٠ دفتر مال النهر [نهر الغدير] خراج ٤٥

– ١١٥٦٦ • ٥٧٨٣ مال ثاني

ميري برج البراجني

١٥ عن الحكورة المرقومة مقابله:
- مار عبدا[1] •
- راشد الغباله ٢
- الشيخ سلوم[2] ٢
- قاسم العرب ٦

٨ < ١١٠٠ مال اول

٢٢١٦–٦ ٨ < ١١٠٠ مال ثاني

٢ – ١٧٣٨ حمانا مالين الميري

١٩٠٥–٢ ١٦٧ ميري القربي[3] مالين

عهدة الامير عبد الله مراد[4] واخوته

٤ ١٣٥١ مال الاصلي

٨ ٢٧٠٢ ٤ ١٣٥١ ثاني مال

٣٦٠٢ عهدة الامير علي مراد واخيه الامير سعيد مالين

---

١) هو دير مار عبدا لرهبان الموارنة بخراج الحدث.
٢) الشيخ سلوم من بيت الدحداح من كتاب الامير بشير.
٣) نظن انها محرفة عن القرية.
٤) هو الامير عبدالله بن شديد بن الامير مراد الذي أسره الامير حيدر شهاب بعد موقعة عين داره، وهو جد آل مراد من بيت ابي اللمع اصحاب صليما.

٤) ≶ ٧٥٠ عهدة الامير سلمان مراد مالين الثلث
٤) ≶ ٧٥٠ عهدة الامير موسى مراد مالين الثلث
٤) ≶ ٧٥٠ عهدة الامير يوسف مراد مالين الثلث
٦ < ٢٢٥٢ عهدة الامراء اولاد منصور مراد مالين
٤ – ٦٣١ عهدة الامراء اولاد الامير بللمع مالين
≶ ٣٨٢ عهدة الامير عباس بسكنتا مالين
≶ ٣٨٢ عهدة الامير طرودي[1] مالين
< ٢٧٩ عهدة الامير حيدر واخيه الامير كنج مالين
< ٢٧٩ عهدة الامير درويش واخيه الامير علي مالين
٤ < ٦٩٣٧ عهدة الامير حسن قيدبيه وعهدة عمه مالين
٤ < ٦٩٣٧ عهدة الامير عساف وعمه مالين
٤ < ٦٩٣٧ عهدة الامير حيدر اسماعيل وعمه مالين
– ٤٦٤ عهدة الامير منصور قيدبيه مالين
– ٤٦٤ عهدة الامير احمد مالين
– ٤٦٤ عهدة الامير نجم قيدبيه مالين
١٩٣٠ . عهدة الامير فارس الراس[2] مالين
٥ < ٣٦٣٣٤ ٢١٣٦ عهدة الامرا [في] الشبانيه مالين

عهدة كسروان لجناب الامير عبدالله[3]

٥ ١٢٠٤٥ مال بعد ترك الشيخ منصور[4] ٣٦٤٨
٥ ١٢٠٤٥ ثاني مال

---

١) طرودي وتكتب ايضاً طروده كان يقيم في بسكنتا، وداره لم تزل قائمة فيها.
٢) راس المتن حيث كان يقيم.
٣) الامير عبد الله المذكور هنا هو ابن الامير حسن شهاب اخي الامير بشير الكبير، فانه تولى من قبل عمه على غزير ومقاطعتها خلفاً لوالده الامير حسن.
٤) الشيخ منصور المذكور هو ابن الشيخ سلوم الدحداح من كتاب الامير بشير.

عن مالين مستجد حدود خراج بسكنتا

٢٤١٢٨ــ	٣٨	على مشايخ بيت ابو خطار[1]	
	١٠٠٥ ٩<	دفتر مال النهر[2] بعد خصم الغلط بالدفاتر اسامي مفرقة	
٣١١١ــ٨	١٠٠٥ ٩<	مال ثاني	
	١١٨ ٩<	دفتر بكليك الغربي[3] سنة ٢٤٤ و١٢٤٥ مالين	
	١١٠٠ــ	دفاتر كسر الاقلام وراجعي كسروان[4] مال عدا الطواحين	
	٤٣٥ ٤<	دفتر انطلياس بعد خصم الذي فيه للحكم مالين	
	١٢٠ ٨	دفتر الحافريه[5]	مالين الميري
	١٨٧ ٢	دفتر دير ناعس البراني	مالين
	١٩٥ ٥<	دفتر جوالي سغبين[6]	مال واحد

١) ابو خطار هو جهجاه ابن حنا الدحداح.

٢) لعلّ المراد بهذا النهر الاراضي التي يسقيها نهر ابراهيم.

٣) المراد بقوله بكليك الغربي بعض قرى البقاع الغربي التي كان يتنازع الولاية عليها الامراء الشهابيون من لبنان وولاة الشام،حتى قرّ القرار الاخير سنة ١٢٤٣ بشأنها بالاتفاق مع الامير بشير وصالح باشا والي الشام ان تكون للبنان وان يدفع عنها كلها الامير عشرين الف غرش. واكثر هذه القرى كانت ملكاً خاصاً للامراء الشهابيين وآل جنبلاط (راجع بشأنها تاريخ الامير حيدر صفحة ٧٦٠ من طبعته الجديدة في بيروت)

والبكليك لفظة تركية نسبة الى البك الحاكم. والمراد بها الاراضي التي كانت تخص حكومة ولاية دمشق في البقاع، والتي كانت تخص حكومة سنجق صيدا في اقليم التفاح، والتي كانت تخص حكومة سنجق طرابلس في الكورة ثم تولى عليها حكام لبنان الامراء الشهابيون ومن خلفهم من المتصرفين.

٤) نظن ان المراد بقوله دفتر كسر الاقلام المال الباقي من المال المفروض على ما كان في عهدة الاميرعبدالله شهاب،حاكم كسروان من قبل الامير بشير الكبير. ويجب علينا ان نوضح هنا ان ذكر كسروان وانطلياس هنا مع قرى البقاع الغربي هو في غير محله، كما لا يخفى.

٥) لا نعلم اين تقع هذه القرية. ولعلها تكون محرفة عن الحفيرة . وهي مزرعة صغيرة بخراج قرية سغبين.

٦) الجوالي جمع جالية والمراد بها المال الذي يُفرض على الغرباء مقابل اقامتهم في بلاد السلطان او هي مال الجزية التي تفرض على اهل الذمة الواجب جلاهم واخراجهم من بلاد السلطان. والمستفاد من هذا ان اهل سغبين او بعض سكانها كانوا غرباء او يحسبون غرباء.

٤ ١٤٦ دفتر خربة قنابيت فار مع فرح مالين
١٩٦٤٦ دفتر عين زبده مال واحد
٢٢٠-٨ دفتر عميق مال واحد
١٥٨٤١ دفتر سحمر حسب عادته مال واحد
١ ٢١٠ دفتر يحمر مال واحد
٣٠٩٩٤٤ ١٠ عن كروم استجدت في زلايا
مرحله ٢١١٢٦٦٤١

بيان قاعدة اموال مقاطعة بلاد جبيل

عن مال واحد سنة ١٢٤٧

مقاطعة الفتوح

٢٩٨ رزق المشايخ بيت الدحداح
٨ ١٠٢ مزرعة محبوبة ومار عبدا هرهريا
٩ ٤ ٧٨ ارماود وتعيت والنخوري
٧ ٤ ١٨٢ العواد والبوار
٧ ٤ ١٣٣ غوشريا وشوان والصالحيه الفوقا والتحتا وحقل الكبير والصغير
٣٧٢ الصفرا
٤ ١١٢ حدشات
٨ ٤ ٢٤٣ يحشوش
٣ ٤ ٢١١ شحتول والغينة والمنافي ونهر النهير والمراج وبجاره
١١٤ غدراس
١٣٠ الحصين
٦ ٩٤٩ غبالي
١٠٥ قهر الفوقا والتحتا والكنيسة والشمرة وترك [مال] الشيخ امين دحداح ٦٤

٦ ≤ ١١٠ بزحل

٨ ≤ ٣٣ قلمة

٣٩٠٤-٨ ٦ < ٧٢٥ مال دفتر المشايخ بيت حبيش مع ترك [٠ســال]
الشيخ امين . عن مال

مال ميرة بلاد جبيل

٧ ٣١١ بنتاعل

– ٣٣١ الكفر [كفر بريف]

٥ ≤ ١٥٦ كفون

١ ١٢٣ الجدران

٢ < ٢٤ زروق

٤ ≤ ٣٥٤ عمشيت

٤ < ٨٧ بهرين

٨ < ١٤٧ حصرايل

٩ – ٢٣١ غرزوز

٩ – ٢٣٢ جدايل

٥ ٦٢ كور [كور الهوى]

٨ ١٦٢ شيخان

٩ ٣٣٣ منصف

١ < ٣٨٢ البربارة

٣ ≤ ١٣٠ كفركدة

< ٩٥ شمون

٦ ١٩٣ فتال

٣ < ١١٠ اده

٨ ≤ ٥٤ غرفين

٥ ١٤٢ بجماز

٣ – ١٣٣ حبالين

١ < ٢٠٨ حدالات [حصارات]

٩ < ١٣٣ غلبون

٩ – ٢٤٩ معاد

٥ ≤ ٤١٧ كفاع

≤ ٣٧٩ بجسب [كذا]

١ – ١٤٥ بيت حباق [بيت حبق]

١ ٢٧١ عبادات [عبيدات]

٢ ≤ ٥٦٤ حاقل

٨ – ٤١٧ مشمش

٨ ٢٨٧ اهمج

٤ < ٣٩ اللقلوق على اهمج

٢ – ١٧٧٦ ميرة سهل جبيل بعد ترك النلط على شاهين حنا الخوري نقل من السهل المذكور على اصحابه في حالات

٦ < ١٣٧ مدرسة عين ورقة

٤ – ٥٣ المشايخ اولاد خازن الخازن

٣ – ٥٣ المشايخ اولاد راشد الخازن

٧< – ٢٦ المشايخ اولاد ابراهيم الخازن

٢ ≤ ٢٤ الشيخ كروان الخازن

٨< ٩٠١١ . ٦ ٣٢ المشايخ اولاد عبد الاحد باز

١٢٩١٥<٦<

اول البطرون[1]

٨ < ٢٩٨ كفر عبيدا

---

١) المراد بقوله اول البطرون بلاد البترون التي على ساحل البحر او بجوار البحر، ويقال لها البترون السفلى تمييزًا لها عن البترون العليا.

٦ < ١٨٢ ميرة اشحوم [تحوم]

٩ ـ ٦٩٤ ميرة صمار جبيل [سمار جبيل]

٩ ـ ٢٦ ميرة دير شوارح [شواح]

٩ < ١٥١ جدبرا

٢< ٢٢١ ادن [اده]

٤ ٣١٠ بسنايا مع رزق يعقوب البيطار[1] ٩-٢٩١

٧ ≤ ٦٩٨ عبرين

٦ < ٢٣٠ كفتون

٩ ١٦٨ بتعبوره

< ٣٩ يتبعها ميرة نصب مال واحد

٣ ـ ١١٠ دير كفتون

١ ≤ ٣٣٧ بقسميا

٢ ـ ٢٦٨ كفرحي

< ٢٥٠ كور البطرون

٩ ـ ١٦٧ رشكيدا

٦ < ٤٧٠ بجدرفل

< ٣١٩ كفيفان

٣ ـ ١٤٧ صغار

٧ < ٢١٧ بران

٨ < ١٨٧ بربتا

١ ≤ ٣١٨ ترلا

٣ < ٣٥٠ عبدلي

٥ ٧٩ دربه [دربلاه] والبقيه

---

١) يعقوب البيطار هو ابن الشيخ سمان البيطار ، كاخية الامير يوسف شهاب ، الثاني في الرتبة بعد الشيخ سعد الخوري ، واصله من غوسطا كسروان . لكن توطن هو وسلالته بلاد البترون .

صورات وعزز [عرتز]	٣٥٣	٦ –
كفرحتنا	١٠٨	≤
حلتا	٣٥٧	٥ <
جبلا	١٠٧	٥ –
راشا	١٤٥	<
العلالي	٨٦	٦< –
حدتون	٢٢٣	١ <
محراش [محرش]	١٣٤	٣ –
مار ماما	٧٣	٥ ≤
زان	٢٤٤	٦
الذوق	١٦٤	٦< ≤
مسرح	١١٧	١<
رام	١١١	٢ ≤
شبطين	٥٦٠	٨
مراح الحاج	٥٣١	–
مزرعة سيدة هبا	٢٧	٧< –
مزرعة الشيخ عيسى اللحم	١٥٩	٧
بشتودار	٥١٦	٥ –
بشملا [بشملي]	٧٥٣	٩ ≤
حارة البكليك شلالا [حارة بيت شلالا]	١١٤	٣<
كفرحلده	٣٥٠	٦
الكفور [كفور العربة]	٥٤٢	≤
حردين	٥٠٠	≤
دوما	٨٠٧	١<
دير مار يوحنا [للروم بجوار دوما]	١٦١	٥< <
تنورين	١٠٨٨	٩

ﮰ	٤٠٨	المشايخ اولاد بو طربيه	
٣	٦٩	كفرحي	
٣<	٦٤٨ ـ	دير ميفوق	
٨	٣٥	ارض الحما	
٢	١٩١	دير حوب	
	٤٥٠	دير كفيفان حكر	١٦٣١٣ ٣<

قرايا الجرد

٩	٦٤٦ ـ	لحفد	
٨	≤ ٤٥٣	جاج	
٢	≤ ٣٢	ارض الجبل على جاج ٢٦<٧٧ وعلى ترتج ٥< ٦ قرطبا للمشايخ	
٧	٤٠٨	حصة اولاد ابو بريده	
١<	٦٧	مال المشايخ	
٢	٣٥٥ ـ	المشايخ اولاد ابرهيم	
٦<	≤ ٦٥	مال المشايخ ارض الحما	
٤	< ٧٢	على اهالي قرطبا ارض الحما	
	٣٦ ـ	دير مار سركيس عن ميرة الحما في قرطبا	
	٩٤٣ ـ	العاقوره	
٨	١٠٢ ـ	ميرة المشايخ بيت ابو هاشم [عماد] في العاقوره	
٩	< ١٥٢	قاعدة الرزق المنباع من المشايخ اولاد اسماعيل حماده سنة ١٢٤٥ في بلاد البطرون	
٤	< ١٠٦٦	في بلاد جبيل	
٧	١٩٤	ميرة وطا القبة عنا خصّ اولاد يوسف باخوص	
٤	١٠١	عنا خص مار جرجس علما دير المسابكه	
	٢٥<	عنا خص المدرسة	٢-٣٧٦٤

القويطع

حامات	٨٩٦ - ٢	
اجد عبرين	٢٧٠ -	
راس نحاش	٧٣ < ١	
وجه الحجر	٣٩٥ ≤ ٢	
المجر	٣٠٢ ≤ ٢	
بذنايل	٢٩ < ٢	
كفريا	٢٩٦ ٤	
كفرحتا	٣٦٠ < ٣	
المجدل	١٢٨ ≤	
سلعاتا	١٢٨ < ٥	
مزرعة حنوش	٣٧ <	
كلبانا خاصة اولاد برحيدر	٤٦ < ٥	
حكر مدرسة عين ورقة	٤٠	
ميرة نصب تين	١٣ ٣<	
عن نصب اجدعبرين عن مال	١-٦	
		٣٠٢٠≤٥<

ميرة المشايخ اولاد جرجس بو صعب
تابع الجرد [جرد البترون]

عن مزرعة الحاج حسن وعابدين وراس دبين	٥٤ < ٥	
مزرعة الحاج حسن	٢٠ < ٤	
كفركاوس [كفردلاقوس] والمزرا والحكورة	٥١ ٥	١٢٦-٤
		٢٣٣٠١<٥

الكورة

٤٢٤ شكا

٤٢٤٤ - ٩ اميون

١٦١٩ ≤ ٨ كوسبا

١٩٧٧ ≤ ١< كفرحزير

٥٠٨ ≤ ٦< حصة الشيخ غندور [الخوري] في ترزا ٥ - ٣٧٠

ترزا ١< ١٣٨<

١١٠٧ ٥< مزارع البكليك في كفرعقا

١٥٤ ≤ ٣ عابا

٢٠٢ ≤ ٩ بدبا

١١٠ دار بشعتار

٧٦ دار شزنا

٢١٣< ٥ بزيزا

١٠ فدادين كوسبا

٨٥ ذاريا

٣٣< ١ تابع البكليك كرم عابا

٨< ميرة فرع النجار

٥ ١ عنما مستجد تابع البكليك سنة ٤٦ موسى عيسى

من بتعبوره

٧ جرجس عيسى

٧ يوسف كنعان

٩ سلمان نصار

٢< ١ عنما مستجد نقدات مفقدة

١٠٨١٠ ≤ ٧<

الزاوية

دير قزحيا بالزاوية	١٤٥١ – ٧<
دير قنوبين	٤٢١<٤ »
عهدة الشيخ ميخايل ضاهر عرجس	٨٧٦ – ٨ »
اذن[1]	٧١٨<٥<٫
بسبعل عهدة الشيخ سليمان ضاهر	٣١١<٤ – »
كفردلاقوس	٧٤٨ – ٧ »
حكر دير بزمار عن الشونيات	٣٠
من عربو سبط	١١٤ –
بستان لحود على الشيخ غندور	٢٠ ≤ ٥
دير مار سركيس [في اهدن]	٥٥ – ٧<
اهدن عهدة الخوري يوسف ضاهر	٧٢٥ – ١<٫
كفريشيت	١٣٤ ٥
كفريا	١١٢ <
حربق	٢١ – ٥
عهدة الشيخ شاهين ضاهر عن ثلاث ارباع كفرحون واجبع	٩٦٤ ≤ ٧
عن مزرعة عساف	٢٢٨ – ٢<
عهدة الشيخ قيس ضاهر عن مال كفرحورا	٢٤١ ٧ –
كفرزينا	٦٠٧ ≤ ٩< »
رشعين	٤٣٨ – ٧<
اصنون بعد خصم الغلط غـر ١٠	٥٧١ ≤ ≤ »
ميرة المشايخ جرجس روحانا وابن عمه البدوي ابن موسى	١٦٠ ≤

١) ربما تكون محرفة عن اردة او عن اهدن

٤٩٥-٣<ر	كفرحاتا
١١٨-٩-	المشايخ اولاد غالب الحاقلاني
١١٩٠ ٤<رر	زغرته
٤٦٩-٧≤	بشنين
٧٥≤٥	مزرعة الخالديه الى بيت الشدياق
٣	مال براني المشايخ اولاد سركيس زيتون زكا براني الخالده
٣-٥	المشايخ اولاد بركات كرم عيسى
٤ ٨	المشايخ اولاد سركيس والشيخ الياس عبيد في درحلبا
٢<	زيتون المشايخ بيت ضاهر في درحلبا
<	لطوف الشي زيتون الخالديه
٥ ٧	تفريع خراج الخالديه اسامي معلومه في الرزمه
٦٨<٥	ميرة ملاكة داريا

١١٤٠٠ ٤≤رر

الجبة

٦١٥≤	دير قزحيا
٤٨٧-٦	عهدة المشايخ اولاد حنا ضاهر
٥٠٠	قنات
٥١٧	الوطا
٧١٣-٣	نصف بشري
١٠٧-٣	نيحا
٢٣≤٢	المدتور
٧١٣-٣	عهدة المشايخ رزق‌الله وشبلي الخوري نصف بشري
٣٣٢-٧	بزعون
٥٤٧≤٧	دير تنوبين

عهدة المشايخ اولا ابو سليمان [عواد] حصرون	١٢٩٦ ١	
بوحليون	١٦٠ ـ ٤	
نصف راس كيفا	٢٣٣ < ٣	
دير حماطوره	١٠٩ ١	٦٣٦٢ ـ

عهدة المشايخ اولاد عبيد بولياس الظاهر

كفرسغاب	٢٦٧ ـ ٨	
المراح	٣٠ ٩	
تولا	٣٠٠ ٨	
ربع راس كيفا	١١١ ≤ ١٢	٧٠٩ < ٦٤

عهدة الشيخ انطونيوس لياس

كرم سدة	٢٨٥ ـ ٤	
ربع راس كيفا	١١١ ≤ ١٢	
طاحون العبيري	١٠	
مال بيت زعيتر[1]	٢٧ ـ ٧٤	
الحوش	٧٠١ < ٤	١١٣٦ ٧

عهدة بيت كرم

اهدن	١٠٤٩ ≤ ٦	
حدشيت	٦٥	
بقعكفرة	٧١٠ ـ ٧	١٨٢٥ ـ ٣

عهدة الشيخ ليشاع الشدياق

عين تورين	١٤٥ ٨	
اجباع ومزرعة التفاح	٣٩١ ≤ ٣	
بيت شعيا	١٩٢ < ٥	

١) فرع من آل الظاهر

في تاريخ الفقه الاسلامي

ثلاث محاضرات

للدكتور يوسف شخت
الاستاذ بجامعة كونيكسبرج ، والاستاذ بالجامعة المصرية

٢

تقدمنا في محاضرتنا الاولى بضع ملاحظات على الطريقتين الشرقية والغربية لدرس تاريخ الفقه الاسلامي وابدينا الكلام عن بعض مسائل متعلقة بعصرين هامين من تاريخ الشريعة : العصر التمهيدي وهو ما قبل الاسلام ، والعصر الأساسي وهو زمن فقهاء المدينة السبعة . وتتناول محاضرتنا هذه دوراً ثالثاً : الدور الذي تكونت فيه المذاهب . فاول مَن اسس مدرسة في تاريخ الشرع الاسلامي هو ، كما نعلم الان ، محمد بن ادريس الشافعي . وكونه المؤسس لعلم حقيقي في الفقه امر يظهر بجلاء من كتابه الموسوم بالرسالة في اصول الفقه الذي يبحث فيه عن طريقة هذا العلم ، كما يبدو من النظام الباهر الذي وضع عليه الشريعة في كتابه الكبير المسمى بالأم . وفضله هو انه بعث اليقظة في الفكرة الفقهية الاسلامية ، وانه لا يبرهن عند الحاجة الى الدلائل وابتناء الوصول الى نتائج عملية فقط ، بل يبرهن دائماً ومبدئياً ، وانه يبحث ايضاً شروط الاحتجاج التشريعي وطرقه بوجه عام . وكتابه العظيم يتيح لنا ادراك طبيعة فكرته الفقهية وعناصرها ادراكاً تاماً ويمكننا من مقابلتها بآرائه في طريقة علم الفقه المعروضة في كتاب الرسالة . وخاصتها البارزة هي الدقة والجلاء اللذان يحملانه على مخالفة كثير مما كان مسلماً به قبله دون ان يضيق بهذا افق تفكيره ودون ان يحصر نفسه في دائرة مخصوصة . فان اجتهاد الشافعي ليتجه على الاخص الى تنظيم الفقه ؛ وتراه يعمل بلا انقطاع على ايجاد تماسك بين الاحكام المنفردة وعلى التحاشي عن ايّ تناقض بين نتائجها الاخيرة . ومهما

يكن من امر السابقين واللاحقين في هذا الشان فان الشافعي كان له اعمق الاثر في تنشئة طريقة القياس التي ظلت من مميزات علم الفقه ؛ ونقصان التعريفات والتحديدات القانونية الفنية في الشرع الاسلامي يتصل مباشرة بالدور الحاسم الذي يقوم به القياس . من الطبيعي جدًا ان ذلك النجاح العظيم الذي لم يسبق له مثيل والذي افتتح في تاريخ الشرع الاسلامي عصرًا جديدًا قد احدث ضجة واسعة وافضى الى تأسيس المذهب الشافعي . ولكن كل هذا لا ينطبق على المذاهب التي سبقته وعلى الاخص المذهبين الحنفي والمالكي . والارجح انها نزعات عامة كانت قد بدت في نواحٍ مختلفة ، وما بينها من الخلاف يرجع قبل كل شيء الى اسباب جغرافية ومدنية عامة : إما بتنوع القوانين العرفية المندمجة في الفقه ، وإما باتحاد العمل والعلم في نواحٍ متماسكة ؛ اما اختلاف الاساليب والطرق الفقهية فليس له الا المقام الثاني . كذلك مذهب الحجاز لم يكن تقليديًا من حيث المبدأ بل من حيث انه يمثل السنّة المدنيّة ؛ ومذهب العراق لم يكن اوسع حريّة من ذلك بل كل ما هنالك انه متفق وتطور حياة العراق المادية والفكرية التي تعرضت لكثير من التأثيرات الخارجية وامتزجت بكثير من العناصر الاجنبية . كان هذان المذهبان في مرحلتهما القديمة يحتاجان الى تنظيم محكم ، فهما لم يرتبا صفوف اتباعهما الا بتأثير المذهب الشافعي وعلى غراره . فاختار كل واحد منهما شخصًا ممتازًا ينتسب اليه جديرًا بتمثيله . والادلة كثيرة على هذه الطريقة من النظر في نشأة المذاهب الفقهية : فلقد ظلت التسميتان الاصليتان من « اهل العراق » و « اهل الحجاز » تطلقان على اصحاب هذين المذهبين حتى بعد عصر مؤسسيهما المزعومين ابي حنيفة ومالك ، في حين ان اصحاب الشافعي كانوا يُنعتون بهذا الاسم منذ اول الامر ؛ وانه لا يزال موضع شك في عدد كبير من الفقهاء ان يُعتبروا اعضاء للمذهب المالكي وخصوصًا للمذهب الحنفي او يعتبروا فقهاء مستقلين ، على حين ان مسئلة كهذه لا تلحق الشافعية . اما مالك فان الشهرة الشخصية العظيمة التي ظل يستمتع بها طول حياته لا بد ان تكون قد ساعدت على اختياره رئيسًا ناسبًا لمذهب الحجاز ؛ بيد ان هذه الشهرة قد عزتها اليه المصادر المتناهية

في القدم لنقده الدقيق للاحاديث ولرجالها لا لاجتهاده التشريعي البحت . وكون الشافعي قد ميزه بين اهل المدينة بان الف كتاباً صغيراً فيما خالف فيه مالكاً من المسائل ليس بعجيب لان الشافعي اخذ العلم منه . ونفس النجاح العظيم الذي لقيه كتاب الموطأ لمالك وحده بين عدد من الكتب المماثلة له يمكن ان يعلل ابسط تعليل اذا لم نعده كتاباً مبتكراً ذا آراء شخصية بل عددناه كتاباً يعبر عن اجماع المدنيين في عصر المؤلف ملتزماً الطريقة الوسطى مجتنباً التطرف في المسائل المختلف فيها . ولدينا ما يحملنا على الاعتقاد بان مالكاً قد توخى هذا الغرض وهو شاعر بذلك كل الشعور . اما في المذهب العراقي فواضح ان ابا حنيفة يشغل من حيث تطور آرائه مكاناً اقل شأناً بكثير من مكانة اصحابه ابي يوسف وزفر ومحمد بن الحسن الشيباني . وانما يرد ذكرهم كثيراً على هـذا الترتيب في الكتب الاقدم عهداً ؟ وانمحاء ذكر زفر وثبوت ثالوث ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد وكذلك وضع قواعد للايثار عند الاختيار بين آرائهم المختلفة — كل هذا يرجع تاريخه الى عهد متأخر نسبياً . وليس لابي حنيفة فيما عـدا الفقه الاكبر — وهو عقيدة وجيزة ذات روايات مختلفة بعضها موضوعة ولكن واحدة منها صحيحة — ليس له فيما عدا هذا كتاب صحيح من تأليفه ؛ لان مسانيد ابي حنيفة قد جُمعت فيما بعد من احاديث وردت في كتب اصحابه ؛ والاقوال الواردة عنه في مؤلفات تلاميذه لا يتجاوز غالبها المراجعات العامة يسندون بها اليه آراءهم الشخصية . وهـذا يحمل على افتراض انه لا يرجع الى اجتهاد ابي حنيفة الشخصي من تفاصيل المذهب الحنفي الا شيء قليل .

وعلى الرغم من ذلك فان المصادفة السعيدة قد مكنتنا من ان ندرك على الاقل ناحيـة من شخصيته التشريعية . فقد حكى محمد بن الحسن الشيباني في كتابه المسمى بالمخارج في الحيل ما يأتي : « سئل ابو حنيفة عن اخوين تزوجا اختين فزفت كل واحدة منهما الى زوج اختها ولم يعلموا حتى اصبحوا فذكر ذلك لابي حنيفة وطلبوا الحيلة فيه فقال ابو حنيفة ليطلق كل واحد من الاخوين امرأته تطليقة ثم يتزوج كل واحد منهما المرأة التي دخل بها مكانها [فيكون ذلك جائزاً لانها منه في عدة ولا عدة عليها من الزوج الاول] . قال محمد وقد

جاء في هذا حديث عيناه ». ولا يسع احدًا ان يزعم ان هذه الحكاية ليست الا افتراء موضوعاً اريد به تعظيم حكمة ابي حنيفة ، لان عين ذلك الجواب موجود ايضاً في كتاب الآثار لنفس المؤلف مرويًا عن ابي حنيفة عن حماد عن ابراهيم النخعي. واما الحديث الآخر الذي عابه الشيباني نفسه فقد احتفظ به شمس الائمة السرخسي في كتاب المبسوط قال فيه : « ذُكر لهذه المسألة حكاية انها وقعت لبعض الاشراف بالكوفة وكان قد جمع الفقهاء رحمهم الله لوليمته وفيهم ابو حنيفة رحمه الله وكان في عداد الشبان يومئذٍ فكانوا جالسين على المائدة اذ سمعوا ولولة النساء. فقيل ماذا اصابهنّ فذكروا انهم غلطوا فادخلوا امرأة كل واحد منهما على صاحبه ودخل كل واحد منهما بالتي ادخلت عليه فقالوا ان العلماء على مائدتكم فسلوهم عن ذلك فسألوا فقال سفيان الثوري رحمه الله : فيها قضى عليّ رضي الله عنه: على كل واحد من الزوجين المهر وعلى كل واحدة منهما العدّة فاذا انقضت عدّتها دخل بها زوجها ، وابو حنيفة رحمه الله ينكت باصبعه على طرف المائدة كالمفكر في شيء. فقال من الى جنبه ابرز ما عندك هل عندك شيء آخر ، فغضب سفيان الثوري رحمه الله فقال ماذا يكون عنده بعد قضاء عليّ رضي الله عنه يعني في الوطء بالشبهة. فقال ابو حنيفة رحمه الله : عليّ بالزوجين ، فأُتي بهما فسأل كل واحد منهما انه هل تعجبك المرأة التي دخلت بها قال نعم ، ثم قال لكل واحد منهما طلّق امرأتك تطليقة فطلّقها ، ثم زوّج من كل واحد منهما المرأة التي دخل بها وقال قوما الى اهلكما على بركة الله تعالى. فقال سفيان رحمه الله: ما هذا الذي صنعت. فقال احسن الوجوه واقربها الى الالفة وابعدها عن العداوة أرأيت لو صبر كل واحد منهما حتى تنقضي العدّة أما كان يبقى في قلب كل واحد منهما شيء بدخول اخيه بزوجته . . . فعجبوا من فطنة ابي حنيفة رحمه الله وحسن تأمله » . والفرق بين المسألة الفقهية في الاولى والقصة الروائية في الثانية واضح. ومن المهم ان نعرف ان مثل هذه الحكايات الرامية الى تعظيم ابي حنيفة قد استطاع معاصرو الشيباني من اذاعتها حتى يعيبها هو. وليست هذه الحكاية بالوحيدة من نوعها بل توجد أخرى تشبهها كل الشبه . فالشيباني يروي في كتابه المذكور ما يلي :

« حدثني حفص بن عمر ان رجلاً اتى ابا حنيفة ليلاً فقال اني كنت مع امرأتي... اذ تغضبت عليّ... فأبت ان تكلمني فقلت لها انت طالق لئن لم تكلميني الليلة... فأبت ان تكلمني... واخاف ان يطلع الفجر ولم تكلمني فتذهب مني. فقال ابو حنيفة ما اجد لك من حيلة الا في خصلة واحدة... اذهب فقل لها: تذكرين انك عربية واني انما خرجت الساعة فسألت عن ابويك فاذا أمك نبطية.. فأتاها فقال: يا عدوّة الله الخ. فقالت: كذبت والله ».

وها هوذا السرخسي ايضاً يورد لهذه الحكاية صورة روائية محضة: « انه قال للرجل ارجع الى بيتك حتى آتي بيتك فاتشفّع لك فرجع الرجل الى بيته وجاء ابو حنيفة رحمه الله في اثره وصعد مئذنة محلته وأذّن فظنّت المرأة ان الفجر قد طلع. فقالت: الحمد لله الذي نجاني منك. فجاء ابو حنيفة رحمه الله الى الباب وقال قد برّت يمينك وانا الذي اذنت اذان بلال رضي الله عنه في نصف الليل ». ولا يسعنا ان نشك في ان الصيغة الاولى لهذه القصة تاريخية والاخرى خيالية. والمغزى ان ابا حنيفة كان فقيهاً عملياً كثير الحيل حتى ان الجيل الذي تلاه بالغ في وصفه بتلك الصفة، التي لا بد ان تكون بدت له من خصائص ابي حنيفة الشخصية، بالحكايات الموضوعة. ومن الغريب ان نلاحظ انه في زمن متأخر صار ابو يوسف هو الذي اشتهر عند القصّاص بانه مثال الفقيه المبتكر للحيل العملية.

والشيباني احرى من اصحابه بان يشغل بين الحنفية مكاناً يشبه المكان الذي يشغله مالك بين المالكية. ومن سوء الحظ انه ليس بين ايدي الجمهور الى الان من كافة كتب الشيباني الا موجزان وهما كتاب الجامع الصغير المطبوع في بولاق وكتاب المخارج في الحيل السالف الذكر الذي نشرناه نحن (وطبعات مؤلفين من مؤلفاته الاخرى طبعت في الهند نادرة جداً فهي كأنها غير موجودة) وليس كتاب المخارج في الحيل الا في موضوع محدود، وبناء الجامع الصغير على مسائل منفردة بـ وهو ترتيب تطرف فيه الشيباني في هذا الكتاب تسهيلاً للحفظ – لا يسمح لنا باستخراج المبادئ التي تقوم عليها الاحكام الا من طريق الاستنتاج غير المأمون. ومؤلفات الشيباني الرئيسية موجودة مع ذلك في

مخطوطات قديمة صحيحة موجود منها قسم عظيم جدًا في مكاتب استانبول . أُتيح لي انا شخصياً ان انشر في مؤلف ذي ثلاثة اجزاء فهرستاً لتلك المخطوطات ولغيرها تهم مؤرخي الفقه ، وتسمح هذه الفهارس لمن اراد ، ان يطّلع عليها بسهولة ويتولى طبعها . والحاجة قبل كل شيء الى تعريف كتاب الاصل الذي هو اوسع مؤلفات الشيباني ، وكتاب الجامع الكبير . ومع كل منهما يوجد عدد كبير من شروح وتلخيصات وحواش الخ . تسهل دراستهما . ويكاد لا يقل عن هذين الكتابين اهمية كتاب الزيادات ، وقد شرح ايضاً مرارًا كثيرة ، وكتاب زيادة الزيادات ، يدلّ عنوانهما على غرضهما اي اتمام ما في المؤلفين الكبيرين ، ثم كتاب الآثار ، ثم كتاب الحجج . وهذا الكتاب ، ومعه مسانيد ابي حنيفة التي لا يزال اقدم رواياتها غير مطبوعة ايضاً ، يعلمنا الاساس السنّي لا للمذهب الحنفي فحسب بل للمذهب العراقي في العصر السابق له ايضاً . وكتاب الحجج هو اول مثال لما ألف في اختلاف المذاهب ، وصاحبه يعنى بوجه خاص بانواع الخلافيات بين اهل الكوفة واهل المدينة ، فانه يسمي الحنفية والمالكية على هذا النحو . ولكي نقدر اصول المذهب الحنفي حق القدر ينبغي ان نطّلع على نصوص هذه الكتب بعينها . ذلك ان مذاهب الفقه المختلفة لا تميزها مبادئ احكامها فحسب بل تميزها ايضاً قائمة المسائل التي تدرس في كل واحد منها ، مع طبيعة هذه المسائل . ففي باب الغصب مثلا يتناول مالك بالبحث قبل كل شيء الحالات التي يكون فيها الشيء المغصوب مثلياً ، فيحمله هذا على ميل الى مصلحة الغاصب حتى لا يكون عليه الا ان يعوّض من الشيء المغصوب كمية مماثلة . اما الشافعي فعلى النقيض من ذلك يعنى بالحالات التي يُدخِل فيها الغاصب تعديلًا على الشيء المغصوب ، فيميل بذلك الى تحميله التبعة عن كل ضرر قد ينشأ عن ذلك التعديل بحيث يصبح موقعه عند الشافعي اسوأ بكثير مما هو عند مالك . اما مبادئ مذهب الشيباني فنحن عاجزون عن الحكم عليها الى الان لانتفاء النصوص . وطبع هذه النصوص لازم ايضاً باعتبار انها المبدأ للبحث عن تطوّر الاحكام داخل المذهب الحنفي . والقاعدة العامة هي ان المسائل التي قرّرتها الكتب السابقة تنضم صراحة او على الاقل

اضماراً الى الكتب اللاحقة التي تكون من جنسها ، فالمسائل التي ترد في كتاب لاول مرة تمثل على وجه الاجمال النتائج التي استحدثتها المباحثات وتطور الاقوال بين هذا الكتاب والكتب التي سبقته. وهذه الطريقة التي تنطبق بطبيعة الحال على كافة المذاهب الفقهية ستسمح لنا بان نتبع عن كثب تاريخ احكامها واقوالها.

ونحن الي الان لم نذكر المذهب الحنبلي . وكثير من الفقهاء المسلمين وفي جملتهم ابن جرير الطبري قد آخذوا احمد بن حنبل الذي يعتبره الجمهور مؤسساً لهذا المذهب بانه محدّث فقط وليس بفقيه ، ولم يكن من الميسور لنا الى الان ان نقرّر ألهذا الرأي ما يبرّره ام لا. ولكن كتاب المسائل الموجود منه ثلاث روايات لم يطبع منها الا واحدةٌ طبعةً خاصة يصعب الحصول عليها ـــ اقول ان كتاب المسائل هذا الذي يشتمل على اجوبة الامام احمد بن حنبل على المسائل التي وجّهت اليه في كافة ابواب الفقه كما يشتمل كتاب المدونة الكبرى على اجوبة مالك ابن انس يسمح لنا بان نؤكد ان الامام احمد نفسه اراد ان يكون فقيهاً لانه كان يعلّم مذهباً فقهيّاً مفصلاً لا يقتصر على شرح الاحاديث . ولهذا ينبغي الا نعتبر مجموع احاديثه الكبير المشهور بالمسند كأنه مؤلف قائم بذاته فحسب بل نعتبره ايضاً كتاباً يضع الامام احمد فيه الاساس لمذهبه الفقهي . ولا يعني هذا انه اسس المذهب السني السلفي في الفقه بنفس المعنى الذي اسس الشافعي مذهبه على مقتضاه ، لاننا نجد قبله وبعده فقهاء عديدين ذوي صبغة سنية سلفية ومذهبهم مستقل عن مذهب الامام احمد. ويلوح مع ذلك ان دائرة تلاميذه بمذهبهم كانت الوحيدة التي بقيت من تلك الطريقة السنية السلفية المصبوغة بالاخذ بالاحاديث قبل كل شيء في الشرع الاسلامي.

واني لاختتم هذه المحاضرة الثانية متمنياً ان تنشر الكتب الحنفية العظيمة الشان التي اسلفنا الاشارة اليها اقرب ما يمكن. فان هذا الميدان خصب للتعاون بين العلماء الشرقيين والاوربيين ، ذلك التعاون الذي المعت اليه في بدء حديثي الاول . فان فقهاء اليوم باشتراكهم في تحقيق هذا الغرض سوف يعودون بفضل احياء ماضي علمهم كما قد فعلوا بطبع كتاب الام للامام الشافعي.

الموشحات الاندلسية

اختراعها ، اغراضها ومعانيها ، لغتها ، تأثيرها

بقلم الاستاذ بطرس البستاني

الموشحات فنّ جديد في شعر المتقدمين ، استنبطه اهل الاندلس وسمّوه موشحاً لما فيه من الصنعة والتزيين ، فكأنهم نظروا الى وشاح المرأة وما فيه من ترصيع وتكريس[1] وتفصيل فشبّهوه به في اسماطه وابياته واقفاله.

ولابن سناء الملك تعريف ضافٍ بالموشّحات في كتابه « دار الطراز » ، يستخلص منه ان الموشّح يتألف في الاكثر من ستة اقفال وخمسة ابيات ، ويقال له «التام». وربما تألف من خمسة اقفال وخمسة ابيات وقيل له «الاقرع». والتامّ ما ابتدئ فيه بالاقفال ، والاقرع ما ابتدئ فيه بالابيات.

والاقفال اجزاء مؤلفة يلزم ان يكون كل قفل منها متفقاً مع سائرها في وزنه ، وقوافيه ، وعدد اجزائه ، كقول ابن الخطيب :

جادك الغيث ، اذا الغيث همى ، يا زمان الوصل بالاندلس !
لم يكن وصلك إلّا حلما في الكرى ، او خلسة المختلس

فهذا القفل يتردّد ما يشابهه وزناً ، وقافيةً ، وعدد اجزاء ، ست مرات في الموشحة لانها تامة.

والابيات اجزاء مؤلفة يلزم ان يكون كل بيت منها متفقاً مع سائر ابيات الموشح في الوزن وعدد الاجزاء ، لا في القافية ، كقول ابن الخطيب ، بعد القفل الذي اوردناه :

---

١) التكريس : ان ينظم اللؤلؤ والخرز في خيط ثم يضما منصولَين بخرز كبار.

اذ يقود الدهرُ اشتاتَ المنى ، تنقل الخطو على ترسُمْ
زُمرًا بين فُرادى وثُنا ، مثلما يدعو الحَجيجَ الموسمْ
والحيا قد جلّل الروضَ سَنا ، فثغورُ الزهر فيه تبسِمْ

فهذا البيت يتردّد في سائر الموشّحة خمس مرات بوزنه وعدد اجزائه ، ويختلف في قافيته .

والقفل الاخير في الموشّحة يقال له « الخرجة » وشرطها ان تكون عامية غير معربة الا في المدح . فمثال العامية :

انا قولْ قُوقُو ليس باقْ تَذُوقو

واكثر ما تُجعل على السن الجواري ، والغلمان ، والسكارى . وربما جاءت على السن الحيوان ، والطير ، والاشياء المعنوية ، كالحب والحرب .

والموشّحات منها ما جاء على اوزان العرب ، ومنها ما خالفها . فاما الموزون فيعده اصحاب الصنعة مرذولًا الا اذا اختلفت قوافي قفله كما في موشحة ابن الخطيب . وقد تكون اقفال الموشّح موافقة لابياته في الوزن ، وقد تكون مخالفة لها .

اختراعها

قال ابن خلدون في مقدمته : « واما اهل الاندلس ، فلما كثر الشعر في قطرهم ، وتهذّبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فنًّا سمّوه بالموشح . » اه

وقال ايضاً : « وكان المخترع له بجزيرة الاندلس مقدّم بن معافر الفريري من شعراء الامير عبدالله بن محمد المرواني . واخذ ذلك عنه ابو عبدالله احمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد . ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشّحاتهما . فكان اول من برع في هذا عُبادة القزّاز ، شاعر المعتصم بن صُمادح صاحب المريّة . » اه .

فيتبين من كلام صاحب المقدمة ان الموشّحات ظهرت بالاندلس في القرن

الثالث الهجرة ، لان خلافة الامير عبدالله بن محمد ، كانت من سنة ٢٧٥ الى ٣٠٠ ه (٨٨٨ — ٩١٢ م) . على انه لم يصل الينا شيء من موشحات مقدم ابن معافر مخترع هذا الفن ، ولا من موشحات ابن عبد ربه لان موشحاتهما كسدت واهملت ولم يروها الناس . واقدم ما وصل الينا ما جاءنا عن عبادة القزاز المتوفى سنة ٤٢٢ ه (١٠٣٠ م) وهو قوله :

بدر تمّ شمس ضحى غصن نقا مسك شمّ
ما اتمّ ما اوضحا ما اورقا ما انمّ

وفي ديوان ابن المعتز العباسي موشّحة لطيفة ، لو صحت نسبتها اليه ، لما بقي فضل اختراع هذا الفنّ لاهل الاندلس . لان ابن المعتز كان معاصرًا لمقدّم ابن معافر . ومقدّم كسدت موشحاته لغثاثتها ، وابن المعتز خلدت موشحته لجودتها . غير اننا نشك في صحة نسبتها اليه ، لاسباب : منها ان مؤرخي ابن المعتز لم يذكروه في عداد الوشّاحين ، ولا ذكروا موشحته هذه . ومنها ان هذه الموشحة رويت لشاعر آخر يقال له الحفيد بن زهير ولعله اندلسي[1] . ومنها ان ديوان ابن المعتز لا يحتوي غير هذه الموشحة . فلو عرف صاحبه فنّ التوشيح لاكثر منه لانه يتلاءم مع اغراضه التي اختص بها ، كوصف الطبيعة ، ومجالس اللهو والشراب . ومنها انه لم تروَ موشحة لشاعر مشرقي غير ابن المعتز في العصر العباسي الثاني . ولا رويت موشحة لشاعر في العصر الثالث . ومنها ان المؤرخين اتفقوا على نسبة الموشحات الى اهل الاندلس لانها من مستنبطاتهم ، ولم يذكروا مشرقيًا في الوشّاحين قبل ابن سناء الملك المصري من شعراء العصر العباسي الرابع . فهذه الاسباب تعزز شكنا في موشحة ابن المعتز ، وتعزز اعتقادنا ان الشرق لم يعرف هذا الفنّ الا في اواخر الاعصر العباسية ، بعد ان شاع وازدهر

١) رويت للحفيد بن زهير كما رويت لابن المعتز في كتاب « المذارى المائسات في الازجال والموشّحات » ، لجامعه فيليب قعدان الخازن . ولعله الحفيد بن زُهر . لان ابناء زهر اشتهروا في الاندلس بعلومهم وآدابهم . ولاسيما ابو بكر بن زهر الذي شرّقت موشّحاته وغرّبت كما يقول ابن خلدون . وقد ورد اسمه محرّفًا من زهر الى زهير في مقدمة ابن خلدون ، وفي المذارى المائسات ، فلا يبعد ان يكون وقع هذا التحريف على الحفيد ايضًا .

في الاندلس ، وظهر امثال عبادة القزّاز ، وابي بكر بن زهر ، وابن بَقيّ ، والاعمى التُطيلي ، وابن باجه ، وسواهم من الوشّاحين المشهورين.

ولم يحدث هذا الفنّ الجديد دون ان يلقى مقاومة ، وانكارًا ، فان جماعة المحافظين على القديم تجهّموه ، وعدّوه خروجاً على الاصول ، وضعفاً ، وعابوا اصحابه ولكن سيله طما وطغى واجترف مقاوميه.

ولا بدّ من القول ان الخروج على نظام الشعر ظهر عند المشارقة في صدر الدولة العباسية . فان بعض الشعراء اخذوا ينظمون الفنون العلمية والقصص الطويلة مزدوجات اذ لا يستطاع نظمها على قافية واحدة ؛ كما فعل أبان بن عبد الحميد في كليلة ودمنة . ونظموا ايضاً المسمّطات والمخمسات كما فعل قُطرُب في مثلثاته . غير ان فحول الشعراء تحاموا هذه الانواع ، ورأوا فيها عجزًا ، وضيقاً . وآثروا التزام القافية الواحدة ، الا بشارًا وابن المعتز . فقد ذكر ابن رشيق ان الاول كان يصنع المخمسات والمزدوجات عبثاً واستهانةً بالشعر . واما الثاني فصنع مزدوجة في ذم الصبوح ، واخرى في سيرة المعتضد.

وسرى فنّ المسمّطات والمزدوجات من الشرق الى الغرب كما سرى غيره من الفنون والعلوم . فنظم فيه شعراء الاندلس فعلّ ابن عبد ربه في مزدوجته التي ذكر بها غزوات الخليفة الناصر . والاندلسيون اسرع الى الخروج على القديم من المشارقة ، لان الشرق مهد العربية ، وطلل البادية ؛ لا ينفك البدو يختلفون الى امصاره ، وابناء الامصار يختلفون الى باديته . فروح العروبة فيهم ارسخ واقوى ، مهما غالوا في تجديدهم ، وافرطوا في انكار قديمهم . واما الاندلس فلم تكن قرارة العرب قدماً ؛ وهي من شمالها محاطة بدول نصرانية اعجمية ، ومن جنوبها بقبائل بربرية مغربية . ولولا اعراق بعض الاسر الاندلسية في العروبة ، ومناصرة الملوك للادب والادباء ، وشغفهم برواية الشعر الجاهلي ، وتردّدهم في الشرق ، وتردّد المشارقة في بلادهم ؛ لما رسخت ملكة الفصاحة هنالك . وخصوصاً ان العرب الذين نزحوا الى الاندلس اكثروا من الزواج بالنساء الاسبانيات ، وسواهن من الاوربيات ، فولدن لهم اولادًا يختلج في عروقهم الدم الشرقي والغربي ، فكانت لهم عادات وطباع وازياء وفنون

يختلفون بها عن عرب المشرق جدّ الاختلاف ، ويقتربون بها من النصارى الاسبانيين كل الاقتراب.

وقد ظهر اثر هذا الاختلاط في استعراب النصارى واليهود من اهل الاندلس ، واتقانهم لغة الضاد وآدابها . وفي طراز بنائهم المستعرب (mozarabe) وفي انتشار العلوم الدخيلة بالممالك الاسبانية ، وفي استعمال الحروف العربية ببعض ولاياتها ، ويسمون ذلك عندهم بالادب الاعجمي (Litteratura aljamiada) . ثم في اتخاذ المسلمين ازياء النصارى ، فقد ذكر صاحب « نفح الطيب » ان الاندلسيين العرب غلب عليهم ترك العمائم ، فكان عزيز بن خطّاب ، اكبر عالم في مُرسية يخطب في حضرة السلطان وهو حاسر الرأس . وكان ابن هُود ، وابن الاحمر ، بدون عمامة ايضاً . وكثيراً ما كان سلاح السلاطين والجنود كسلاح النصارى ، واقبيتهم كاقبيتهم . واثرت العجمة في لغة التخاطب عندهم ، فانحرفوا بها عما تقتضيه الاوضاع العربية ، حتى اذا تكلم احدهم بالاعراب ، وجرى على قوانين النحو ، استثقلوه واستبردوه [1] .

وكذلك الغناء اثر فيه اختلاط العرب بالاسبانيين تأثيراً بليغاً ، واثر ايضاً في الشعر الذي يتغنى به . وكانت مجالس الطرب في الاندلس على انتشار عظيم ، وانعقاد مستمرّ . فان جمال الاندلس وخصبها ، وغنى اهلها ، من دواعي اللهو والعبث . ولا شيء ادعى الى اللهو من الغناء والطرب . فلا غرو ان يشيع هذا الفن ، وتكثر مجالسه ، ويعظم قدر المغنين . وبحسبك ان تعلم كيف احتفى عبد الرحمن الثاني بزرياب ، لتتبين منزلة الغناء والمغنين .

ولا ريب ان لزرياب يداً طولى في رفع شأن الغناء بالاندلس لما ادخل عليه من التحسين . قال فيه ابن خلدون : « فاورث بالاندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه الى ازمان الطوائف ، وطما منها باشبيلية بحر زاخر » اه .

١) راجع ، في هذا البحث ، ما نشره الاب لامنس عن « لغة مسلمي الاندلس » ، في « المشرق » ٢٦ [١٩٢٨] ١٠٢ – ١٠٨ .

ولم يكن للاسبانيين موسيقى راقية قبل الفتح الاسلامي . فلما افتتحت الاندلس ، وانتشر الغناء العربي ، تهذبت موسيقاهم ، واصطبغت بالوان عربية بيّنة . منها انهم اتخذوا الشبّابة من آلات الغناء ، وهي عربية الاصل . ولهم اناشيد يسمونها بالزجل (segrel) ، وهي مأخوذة عن الزجل العربي . وعندهم طرب بمعنى الف الالحان ، وطروب بمعنى مؤلف الالحان . وعندهم ربع صوت ، وثلث صوت . واجزاء الاصوات عربية لا يستعملها في اوروبة غير الاسبانيين . وتقاطيعهم الصوتية تجري على نغم واحد كالتقاطيع العربية . ومن الفاظهم ما يراجع في الغناء غير مرة كما يراجع لفظ « يا ليل » في الغناء العربي .

وكان الادب الاسباني قبل دخول العرب رومانياً يتعهده الرهبان في اديارهم منذ القرن الخامس للمسيح ، ولكنه لم يشمل طبقات الشعب كلها لان العامة لم تتأثر بالعلوم اللاتينية الراقية ، وانما كان منها شعراء ومغنون لهم ادب شعبي خاص ، لا يختلف ، فيما نرى ، عن ادب عامة الغاليين لما بين الامتين من الاتصال ، ولما كان لجماعات الجنكلير من يد في نشر هذا الادب .

وجماعات الجنكلير عُرفوا في غالية بين القرن السابع والثامن ، وكانوا يطوفون البلاد رجالاً ونساء يتغنون باناشيدهم . واناشيدهم منها حماسية ، ومنها غرامية ، ومنها قصص نثرية . وليست هذه الاغاني شعراً صحيح الاوزان ، مطّرد القوافي ، وانما هي مقاطع لا ضابط لها ، وربما اتحدت في اواخرها الصوتية اتحاداً غير ملتزم .

فاما ، وقد علمنا ما كان بين العرب والاسبانيين من الامتزاج القوي في السكنى والزواج والبناء واللغة والعلوم والازياء والغناء ، فغير عجيب ان يشمل هذا الامتزاج الادب ، فيسمع العرب اناشيد الجنكلير ، فتنبههم في القرن التاسع الى استنباط اناشيد للغناء طليقة القوافي والاوزان سموها بالموشحات . وكان لهم من مزدوجاتهم ومخمساتهم سابقة في الخروج على القافية الموحّدة ، غير انهم لم يتخلوا منها اصلاً لتعودهم اياها . ثم لانها عنوان رقي شعرهم . فجاءت موشحاتهم مختلفة الاوزان والقوافي شاذّة عن النظام الشعري المألوف .

ودليلنا على ان العرب استنبطوا الموشحات من اجل الغناء، هو انهم كانوا يراعون فيها التلحين مطلقاً وان افضى الى افساد التعبير. قال ابن سناء الملك: « والموشحات تنقسم من جهة اخرى الى قسمين: قسم يستقل التلحين به ولا يفتقر الى ما يعينه عليه، وهذا اكثرها. وقسم لا يحتمل التلحين، ولا يمشي الا بان يتوكأ على لفظة لا معنى لها تكون دعامة للتلحين وعكازاً المغني كقول ابن بقي:

مَن طالبٌ ثار قتلي ، ظبيات الحُدُوجِ ، فتّانات الحَجيج

فان التلحين لا يستقيم الا بان يقول: لا لا بين الحجيج من هذا القفل» اه. وكذلك لا لا تُستلذ رنة الموشح الذي يخالف الاوزان الشعرية الا اذا غني فيه لانه خلق للغناء لا للانشاد.

اما اغاني الجنكلير، فليس بين ايدينا شيء منها فنقابله بالموشحات. وانما نعتمد على اناشيد التروبادور التي ظهرت بجنوب فرنسة في القرن العاشر. وكان اصحابها يقصدون القصور، ودور الملوك، ومواسم الاعياد، يتغنون بها، او يغني لهم فيها جماعة الجنكلير. وهي تتناول اغراضاً شتى كالغزل ووصف الطبيعة، والمدح والهجاء، والقصص. واغراض الموشحات يقوم معظمها على الغزل والطبيعة والمدح. واناشيد التروبادور غنائية منسجمة الالفاظ حسنة التوقيع غير انها ضعيفة الميزة الادبية في معانيها المزيلة، واغراضها المكرورة. ولها اسماط واجزاء لا تتوافق اوزانها احياناً، ولا تلتزم فيها القافية كما تلتزم في الشعر. وانما تلتزم في كل ثلاثة اجزاء او ستة، وفي نهاية كل سمط، ويراعى في التزامها الوزن الذي وردت فيه اولاً. فهي من هذا القبيل اشبه شيء بالموشحات.

ونهضت اناشيد التروبادور في القرن الحادي عشر وهو الزمن الذي نهضت فيه الموشحات. ولكن لم يصل الينا منها الا منذ منتصف القرن الثاني عشر، في حين انه وصلت الينا موشحات منذ القرن الحادي عشر.

فاتفاق منظومات التروبادور والموشحات في اكثر النواحي يحملنا على

الاعتقاد ان العرب تأثروا بالادب الاسباني الفرنسي[1] ، كما تأثر الاسبانيون والفرنسيون بالادب العربي ، فاخذ العرب فكرة التحرّر من الاوزان في اغانيهم ، واخذ اولئك القافية والصور الخيالية الجميلة .

فالموشحات اذاً ، ليست بعربية بحتة ، انما هي مستعربة « mozarabe » ، كأهل الاندلس ، وما في الاندلس من فنون وعادات وازياء . وكانوا في بدء نشأتها يحلّونها بالالفاظ الاعجمية كما ذكر ابن بسّام في « الذخيرة » .

اغراضها ومعانيها

فاما وقد علمنا ان الموشحات اخترعت من اجل الغناء فلا غرو ان تكون اغراضها في اول الامر مناسبة لهذا الفن ، فما يُنظم فيها غير الغزل والخمر والمجون ووصف الطبيعة . واتبعوا بها المدح لان ابهى مجالس الغناء كانت تُعقد في قصور الملوك والامراء . والتغني بمناقبهم عدّة التكسُّب للشاعر والمغني معاً . ثم توسعوا فيها الى سائر اغراض الشعر كالهجو ، والرثاء ، والزهد ، والتصوف .

واكثر ما نظمت فيه الموشحات ما اجتمع به الغزل والطبيعة والخمر والمدح . وربما استهلّوا بالغزل ، وانتقلوا الى المدح ثم رجعوا الى الغزل فجعلوه ختاماً للموشح .

على انه مهما تعددت اغراض الموشحات ، فللطبيعة النصيب الاوفر ، فاهل الاندلس اشغف الناس بطبيعة بلادهم ، لا يفترون عن ذكرها في توشيحاتهم كما لا يفترون عن ذكرها في اشعارهم . وهي في الموشحات اشمل واظهر . فما تقرأ موشحة لهم الا رأيت الطبيعة ماثلة بالوانها واصباغها ، وازهارها

---

١) غلبت الصبغة الفرنسية على الادب الاسباني الشمي لتسرّب عنصره الى الاندلس مع التجار اليهود خاصة . ثم مع المرسلين الكاثوليكيين الذين جازوا البيرنه ، وانشأوا الديورة الكبار تضم اولاد الفقراء ، ويعلمهم فيها اساتذة فرنسيون . وقد درس المؤلف غنتون باري صلة الادب الفرنسي بالادب الاسباني . ودلّ بحجج راهنة على تأثير الاول في الثاني حتى قال : « ان الادب الاندلسي في اول عهده هو فصل من تاريخ الادب الفرنسي في القرون المتوسطة » . اه .

ورياضها ، ومدنها وعمرانها . يتغنى بها الوشاح اكثر مما يتغنى بمحبوبه . فهي الحبيب المالك عليه شغاف قلبه ، المستولي على جميع احساسه ، يروقه منظر الزهر والبليل عند الصباح ، وتشوقه بهجات الوانه . ويملأ فؤاده عبيره ، ويخلبه الماء المنساب في الجداول والانهر . وتطربه الاطيار تغرّد على غصون الشجر . وكل صورة من صور الطبيعة عنده شاعرة حساسة ، يغوص على طبائعها ، ويستشف دخائلها ، ويتبين سرورها والمها . فاذا بابن الخطيب يقول :

اي شيء لامرئ قد خلصا ، فيكون الروضُ قد مُكّن فيهْ
تنهب الازهارُ منه الفرصا ، أمنت من مكره ما تتّقيهْ
فاذا الماء تناجى والحصى ، وخلا كل خليل باخيهْ
تُبصرُ الوردَ غيورًا بَرِما ، يكتسي من غيظه ما يكتسي
وترى الآس لبيبًا فهما ، يسرق السمعَ باذنَي فرس

ويقول ابن زَمرَك متشوّقًا الى غرناطة ، وكان بعيدًا عنها :

نسيمُ غرناطةٍ عليلْ ، لكنه يُبرئ العليلْ
وروضها زهره بليل ، ورشفه ينقع الغليلْ
سقى بنجد ربى المصلّى ، مباكرًا روضَه الغمامْ
فجفنه كلما استهلّا ، يبتسم الزهر في الكمامْ
والروضُ بالحسن قد تجلّى ، وجرّد النهرُ عن حسامْ

واليك المدح كيف تظهر فيه الطبيعة كل الظهور . قال ابن زمرك يهنئ السلطان ابن الاحمر بشفائه :

قد انعم اللهُ بالشفاء ، واستُكملت راحةُ الامامْ
فلتنطقِ الطيرُ بالهناء ، وليضحك الزهرُ في الكمامْ
وُجودُه بهجة الوجودْ وبرؤه راحة النفوسْ
قد لاح في مَرقب السعودْ واستبشرت اوجهُ الشموسْ
فالدوح يومي الى السجودْ ، اكمامه حطّت الرؤوسْ

ومعاني الموشحات لطيفة سائغة كاغراضها ، ناعمة الخيال ، مشرقة الصور لامتزاجها بصور الطبيعة الناعمة والوانها . الا انها مكرورة معادة ، طافية غير بعيدة الغور . وقلما وقعت على معنى يستوقفك ببراعته ، وعمق صورته . وانما انت تؤخذ على الاكثر برقة الالفاظ وحسن موسيقاها ، والطف ما فيها من الاساليب

البيانية المختلفة الوجوه . فيليك هـذا الجمال الخارجي عما في داخلها من معان تافهة او مبتذلة . وربما رأيت فيها غموضاً مع خفتها وقرب متناولها لغلبة الصناعة اللفظية عليها ، كما في موشحة لسان الدين بن الخطيب حين يقول:

وروى النعمانُ عن ماء السما كيف يروي مالكٌ عن أنسِ (١

او لحب الاغراب ، وسقم التعبير ، وضيق الالفـاظ عن ايضاح المعنى . كقول ابن الخطيب ايضاً :

ايُّ شيء لامرىءٍ قد خلصا ، فيكون الروض قد مُكّن فيه (٢

وقـد تقرأ الموشحة فلا تجد ارتباطاً في معانيها ، ولا تختلف في نظرك عن تلك الاغاني الشعبية التي تسمعها في زماننا ، فتطربك بالحانها دون ان تأبه لما فيها من سخف المعنى وتفكك والانحلال . فهذه موشحة ابي بكر بن زُهر من اشهر الموشحات ، تقرأها فتلذ لك صورها والوانها ، وما فيها من الفاظ الحب والخمر والطبيعة فاذا تدبرت معانيها لم تقع على شيء حقيق باللذة والاستمتاع ، وانما هي قطعة صالحة للغناء :

ما للمولَّهْ ، من سكره لا يُفيقْ ، يا لَه سكرانْ
من غير خمرْ ، ما للكئيب المشوقْ ، يندب الاوطانْ

***

هل تُستعادْ ، ايامنا بالخليجْ ، ولياليـنا
او يُستفادْ ، من النسيم الاريجْ ، مسكُ دارينا
اوهل يكادْ ، حسنُ المكان البهيج أن يحيّينا

---

١) النعمان : ملك الحيرة ابن المنذر اللخمي . والمراد هنـا شقائق النعمان . ماء السماء : ام المنـذر اللخمي ، وجدة النعمان . والمراد هنا المطر . مالك : إمام المدينة ، واحد الائمة الاربعة . أنس : والده . يقول : ان زهر الشقائق روى لنا عن والده المطر كيف كان يروي مالك عن والده انس رواية صدق ، وصدق رواية الشقيق عن المطر بادية في ازهاره وحسن منظره . وفي المصراع الاول توريتان ظاهرتان .

٢) خلص : صفا . الظاهر من معناه انه لو صفا شيء لمخلوق لتمكن الروض من الحصول على هذا الصفاء لانه احقّ به من سواه . وقوله مكّن فيـه اي مُكّن منه . ومن معاني في ان تكون مرادفة لمن .

وكذلك موشحة ابن الخطيب ، وهي اسير الموشحات ، واخلدها ذكرًا ، اذا حبست نفسك عن الاستسلام الى موسيقاها ، والافتتان بصورها البيانية والوانها ، وغصت على معانيها تتقصّاها في مواطنها ، رأيت انك امام اوصاف عادية متداولة ، ومعانٍ متعارفة مبتذلة . فكأن الوشّاح الاندلسي جعل همّه في اخراج موشّح لطيف سائغ يصلح للغناء، لا يعنيه ان يكون فيه معنى مبتكر او معنى دقيق . فالموشحات لم تخلق لارضاء التفكير وتغذية الذهن ، وانما خلقت لاثارة الخيال والعاطفة ، وابهاج النفس والعين والاذن .

لغتها

كانت لغة الشعر التقليدي في الاندلس ضعيفة بالاضافة الى لغة الشعر العباسي ، فجاءت لغة الموشّحات الين واضعف ، فهي فنّ استعرب ولم يكن عربيًا ، وابتدع ولم يكن تقليديًا : ووجد من اجل الغناء ، والغناء يتطلب الالفاظ السهلة السمحة ، والتعابير اللطيفة اللينة ، وهذه تقود غالبًا الى الضعف والركاكة لطواعيتها ، وائتلافها بمبتذلات العامة . وزادها فسادًا ما اشترط في خرجاتها ان تكون عامية التعبير ، فاجترأ الوشّاحون على التساهل اللغوي في غير الخرجة . كقول بعضهم :

يا قاـالي حقـًا يكفيك ما القى
أفنتني عشقـًا
برهفتي عينـاك اما كفاك !

وافرطوا في استعمال المجاز على انواعه ، فحفلت موشّحاتهم بشتى الكنايات والتشابيه والاستعارات ، وافتتنوا باوجه البديع ، والتزموه التزامًا لا لتحسين المعنى ، وانما لتحسين اللفظ وتوشيته . فابن الخطيب كان له مندوحة عن قوله :

وروى النعمان عن ماء السما كيف يروي مالك عن انس

ولكن التورية قادته الى هـذا التلاعب بمعاني الالفاظ . ولم يكن لاقحام مالك بن انس من داعٍ لولا قوله : وروى ، فالرواية تعني الحديث ، ومالك محدث عظيم .

وهذه الاشياء وامثالهـا كثيرة في الموشحات ، وهي التي اورثت بعضها غموضاً على سهولة الفاظها ورقتها .

وللموشحات الفاظ وتعابير خاصة لا تكاد تختلف في ذكر الطبيعة والخمر والحبيب ، فيها كثير من السماء وشموسها وغمامها ، وفيها كثير من الارض ورياضها وانهارها . ولها وقع جميل في النفس ، وان خلت من المعاني البارعة . ومن الالفاظ التي يكاد يتفق عليها الوشاحون ، وكان لها حظ غير قليل في الشعر الاندلسي لفظة الاقتراح وما يتفرع منها :

ليـلى أزيَنَ الملاح   ليلى عليك اقتراحي

تأثيرها

كان لظهور الموشحات اثر بليغ في الشعر والشعراء ، لان اعتمادهـا على الغناء جعلها تطير على افواه المغنين ، ويتلقفها الناس من كل صوب ، ويحفظونها ويتناقلونها ، حتى غلبت على الشعر ، واحتلت مكانه ، واصبح الملوك يأنسون بها في مداخمهم ويطربون الى سماعها ، ويجيزون عليها كما يجيزون على القصائد . وبلغ من شغف الشعراء بها انه ما اشتهرت موشحة ، وتداولتها الالسن ، الا انبرى جماعة منهم الى معارضتها . فقد نظم ابن سهل موشحته التي اولها :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى   قلبَ صبٍّ ، حلّه عن مكنسِ

فهو في حَرٍّ وخفقٍ ، مثلما   لعبت ريح الصَّبـا بالقبسِ

فغنى فيها المغنون ، وتحدث بها النـاس . فانبرى لسان الدين بن الخطيب يعارضها بموشحته : « جـادك الغيث . . . » فـارت كل مسير ، وحجبت موشحة ابن سهل ، ورويت لها عدة معارضات قصرت عنها في المضمار .

ولم تنحصر الموشحات في الاندلس ، بل جـاوزت بحر الزقاق الى المغرب والمشرق ، فنظم فيها المغاربة والمشارقة ولكنهم لم يبلغوا شأو الاندلسيين ، الا ابن سناء الملك المصري ، فـان له موشحة شرّقت وغرّبت ، وهي التي يقول في اولها :

كللي ، يا سحب تيجان الربى   بالحُلي

على ان هذا الفن، مع جماله ورشاقته، كان له اثر سيء في الادب اذ قاده الى الانحطاط. قال ابن خلدون : « ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس ، واخذ به الجمهور لسلاسته ، وتنميق كلامه ، وترصيع اجزائه ، نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ، ونظموا في طريقتهم بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزموا فيه اعراباً ، واستحدثوه فناً سموه بالزجل . والتزموا النظم فيه على مناحيهم الى هذا العهد.» اه

فاقبال العامة على هذا الفن لسهولته ، وحسن مؤاتاته ، انحدر بالشعر الى العاميــة ، فصار الى ساقط القول . غير ان الشعراء المحدثين من اهل زماننا ، عادوا به الى الفصحى، ورفعوا منزلته ، واعتمدوا عليه في منظوماتهم الطويلة ، كما فعل سليمان البستاني في الياذة هوميروس ، واحمد شوقي في قصصه التمثيلية.

والموشح اذا روعيت فيــه الفصاحة ، والاوزان الشعرية ، شائق فتان ، للطفه وحسن مساغه . فهو شعر الحب والطبيعة والجمال والفن ، وشعر القصائد الطويلة التي لا يضيق عليها الخناق وزن واحد ، وقافية واحدة. وهو فتح مبين في الادب العربي ، يعود الفضل فيه الى الاندلس ، واهل الاندلس.



الشعر اللبناني باللغة الفرنسوية

شارل قرم : الجبل الملهم
ميشال شيحا : بيت الحقول
ايلي تيان : القصر العجيب
هكتور خلاط * : الارز والزنابق

بقلم سعيد عقل

أيكونه المعين الغربي أفعلَ في شاعريّة اللبناني من المعين العربي؟ أيكون لبنان بلداً حائراً، ولكنه مرجح الاتجاه إلى الغرب؟ أيزول الاعتقاد بان ثمة روحاً غربية وروحاً شرقية مُغلقتين الواحدة على الاخرى؟ أم يقوم - بالعكس - اعتقاد بان اللغة العربية اروع اداة من الفرنسية في نظم الروح الانسانية التي لا تختلف؟ ايكون بعض شعرائنا بالفرنسية ادركوا ما ظلّ حتى السنوات الاخيرة مغلقاً على زملائهم بالعربية كالابتكار، والصدق، وخوض المشكل الفلسفي العميق، ووصف النفس البشرية، والتغني بالوطن؟ أنأمل، بعد شعرائنا الفرنسيين، بشقّ الطريق إلى مصافّ الشعراء العالميين؟ أم اننا، بعد المقاطع الانسانية من «الجبل الملهم» في قلب الادب الانساني؟

تلك اسئلة تصدّت لي وأنا اقرأ القرم وشيحا وزميليهما التيان وخلاط.

***

* Charles Corm, La Montagne inspirée. In-8°, 97 pp.
Michel Chiha, La maison des champs. In-8°, 96 pp.
Elie Tyané, Le Château Merveilleux. In-8°, 96 pp.
Hector Klat, Le Cèdre et les Lys. In-8°, 96 pp.
[*Les Auteurs Libanais de Langue Française*, 1, 2, 3, 4]. Editions de la Revue Phénicienne. Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1934 et 1935.

كان الشعر في لبنان، خلال السنوات العشر التي تلت الحرب، أرقى منه في ايّ بقعة عربية، وان ظهر شوقي على ما ظهر عليه من شهرة يجب ان لا نزدها دائماً إلى الموقف الرفيع من شعره.

على ان هـذا التفوّق للبنان لا يجوز ان نراه إلّا على تواضع — وقل على اتضاع — إزاء الشعر الحقّ، فشعراء ذلك العهد كانوا بعدُ تحت تأثير اليازجي او من تيسر لهم ان يقرأوه من الشعراء القدم، تقوم مواضيعهم — ويا لاسف القرن العشرين! — على شعر الحفلات، من رثاء، ومديح خلو اجماعاً من ايّ عاطفة. وقد يتطور بعضهم إلى اسخف، فينشد في الحفلة « أقصوصة » يتعمد فيها الحزن، ولكنها لا تصف من العواطف البشرية حتى الحزن نفسه. وهي تدور أبدًا على « واحد يحب واحدة » يقوم بينهما حاجزٌ مضحك يلقيان فيه الحتف، على حدّ ما تولده مخيلةٌ حبلى بقصة « بوليسية ». واذا لم يكن الدافع الى النظم حفلةٌ ما، نشر لنا الشاعر نتفاً غنائية، تقوم على الغزل، فيصف الموقف منها عاطفتي الشوق او القنوط. واما الباقي فاحساسٌ بهيمي — إذا جاز ادخالهُ في الاحاسيس الشعرية — يقوم على الضم والشم والتقبيل وانعال المحبوبة كبد الشاعر، الى ما هنالك من الوتيرات التي ضرب عليها العرب الاقدمون. والعرب لم يكونوا يوماً مثالًا للشعر، وما عندهم من شعور وخيال، وان غير مشكوك به، هو نسبي يبدو ازاء الادب الحق ضئيلًا. فظاهر « شعورهم » في لـذة الحواس، ومرامي « خيالهم » في دائرة الحواسّ أيضاً. فهم لا يتصوّرون السماء إلّا حواريَّ، ونهر عسل، ونهر لبن، وتفاحاً ورماناً، الى ما هنالك مما يشبع اللذة البهيمية او الجوف النهم.

واذا كان شعور الانسان المتّزن على قوى ثلاث متّزنة بين العقل والقلب والشهوة، فارى ان الاخيرة كانت المسيطرة عنـد العرب. وكيف تصلح مثلًا أعلى لتلامذة المرامي الانسانية والجمالية (Esthétique)؟

ويعجب المرء اذ يرى تقاعس الشعراء اللبنانيين — او الشرقيين عامةً — عن تثقيف انفسهم على الروح الانسانية. وتعليل ذلك ان القليل منهم من كان متضلعاً من الفرنسية او الانكليزية يتصل بالمحور الانساني. فبينما كان طاغور

في اقاصي الهند يدخل المعمعة العالمية ، الى جنب ڤاليري ، كان الشاعر اللبناني وبالتالي العربي يعيش في لبنان ، ويخفق قلبه للحجاز ، يتفيأ الارز والصنوبر والشربين اظلالا واندا. ، ويتغنى بالبيداء ، يمرغ انظاره على زرقة السماء في لبنان او احمرار الشفق في خليج القديس جرجس ، يرغبه على شروق الشمس فوق اللقاوق او حرمون ، ويشبه الخدّ بالتفاح والصدر بالرمان والعين بالنرجس شأنَ البدوي الذي لم يرَ هذه الفاكهة الا كل حول ، تعمرهُ بيروت ، بما فيها من اهل وانس وجمالات ، ويتغنى بالجؤذر والغزال والمهاة ، الحيوانات التي لم يرها في حياته. والتي لم يكن سواها ليؤنس البدوي في قفره ، فيشبه بها المحبوبة ، يعيش على شاطئ بيروت ولا يصف البحر ببيت شعر.

ان الشاعر اللبناني كان منا ، « وكان لسانه يلعلعُ علينا » بما يسرقه من ريق البدوي ، كان يُـدعى الشاعر الذي يُجتلُ (idéalise) ما حوله من طبيعة ونفس ، وفي الواقع كان السارق الذي يلوي في الليـل على دواوين البدو ، فيسرقها سرًا ، او يهضمها ويجترهـا جهارًا . كان غير شخصي ، وغير مبتكر وكان في غير دائرته يحتار ويحيّر ، واخيرًا يستدعي الشفقة .

تلك كانت حالة الشعر عندنا في السنوات التي تلت الحرب الكبرى وذلك كان معين ادبنا .

وانقضى الربع الاول من القرن العشرين ، ودخل الشعراء الشبـاب غمرة الادب الانساني على يد الفرنسية خاصةً ، فبدأت منتوجاتهم تبشّر بالعهد الجديد .

وبينا كان هذا التطوّر يكتمل عند شعرائنـا باللغة العربية ، كان نفرٌ لم يتأثروا « بالشرق - الكتب » وان عبدوا « الشرق - الطبيعية » ، لم يُتقنوا اللغة العربية ، وان أتقنوا عشق بلادهم . فعادوا ، اذا ينظمون،فانما يصبّون على الورق شعورهم ، واذا يتغنّون بالشرق فعن حب مخلص .

هؤلاء شعراء لبنان باللغة الفرنسية . احبوا الشرق في جزئه لبنان فانعكس في قصائدهم حيًا بأرزه وسهله وأطلّ باساطيره ، وتاريخه ، وتمنى بآمـال اهله ، وجاش بعواطفهم .

وهؤلاء الشعراء زجّوا رأسهم في العالم ، فوسّعوا بذلك دائرتهم ، وتطلّعوا

الى المشاكل الفلسفية .

ان الادب العالمي ، لا يقوم ، كما يتوهم البعض ، بان يصف اللبناني فرنسة او افريقية ، او الفرنسي لبنان او الهند ، بل يقوم بوصف ما هو فوق الزمان والمكان ، يقوم « بوصف النفس » ـــ والنفس واحدة في العالم .

***

والآن ننتقل الى درس شعرائنا الفرنسيين في موضوعاتهم ، وشاعريتهم ، ونظمهم :

« الجبل الملهم » والصلاة سواء .

ولا اعرف شعراً عندنا تصدق فيه هذه الكلمة كشعر شارل قرم .

اما الصلاة فروح الشعر ابداً . كلمة قالتها السيدة ده ستال منذ اكثر من قرن ، ورددها كبار الشعر النظريين في الشعراء كهنري بريمون صاحب « الشعر الصافي » . فقال : « يقتضي للشعر ، فيما يقتضي ، سحرٌ سريّ يصل الى الصلاة » . و« الجبل الملهم » ثلاثة اناشيد : « قول الحماسة » و« قول الاحتضار » و« قول الذكرى » .

في الاول صورة شعب يهبّ باسره الى ملاقاة فرنسة يرى النور والحياة على يدها رؤية المؤمن للسعادة الابدية .

يصف القرم هذا الشعب فرداً فرداً بما هو اقرب الى عمل الحاسب منه الى روح الفنّان ، وهذه الطريقة تضعف العمل الجمالي في النشيد وتخفف شيئاً من شاعريته الفياضة .

لكن الطريقة الحسابية النافرة تمحي منذ النشيد الثاني . ولو كان الشاعر يميل بنا اكثر الى الجمالية في بعض تعابيره ، لكان لنا من « قول الحماسة » وحده تحفةٌ شعرية بكر .

ان هرغو ، في قنة « عقاباته » « Les Châtiments » ليظل دون شاعرنا ألماً وانتفاضاً ، ولا ادري أيكون القرم ظلياً في مقابلته بهوغو ام لا ؛ فاني لا اجد في الآداب ما يشبه حنق القرم هنا ، الا حماسة پندار اليوناني - الفنيقي ،

ولهجة الانبياء العبرانيين ، تهدد آناً ، وتنعي احياناً ،صواعق في انقضاض ، وعوالم في انهيار .

ومن خلال هذه النبرات والجهشات يطل عليك الجيل اللبناني المحتضر بعد السنين الخمس العشرة من الانتداب .

وفي هذا النشيد مقاطع تخال من اخراج « ڤاليري »

اما « قول الذكرى » ، وهو الصفحات كلها تقريباً ، فانه لبنان يخفق حيّاً على اصابع شاعر مؤمن بحياته ، يستنطق لغة الفنقيين لغته اللبنانية ، وهو بين الحماسة والجهش ، بين عظمات اجداده والتفجع على لغة كانت للغات سفر تكوين ، وأمست اليوم في القبور والنواويس ، يستنطقها عن تاريخه فتطل الوجوه من كل أفق فينقية لبنانية ، تزرع العالم كبراً وماوركاً واولوية . يستنطقها عن اساطير لبنان واخلاقه ، فتموج مغارة افقا ونهر ادونيس ، اسطورة يأخذ الشاعر من دمها معابد للقتبه ، وتتكسر الانوار من خلال الارز على الارض علامات من ظلّ توحي للفنيقي فكرة اللغة .

ويتهادى القارىء في نشيد الذكرى بين الملوك والجبالات والشموس ، بين العذارى الطهورات حاملات الجرار الى عين القرية ، والخيالة البسّل لاعبي «الجريد» ، بين منشدي « الحدا » و«العتابا» الباكية . حتى اذا أوشك النشيد ان ينتهي تكون قد تقاسمت القلب عواطف النفس جمعاء ، فحزن وحنين الى العهود الذهبية ، وتحمسٌ وغبطةٌ ازاء الفخامات ، وفرح وعبادة دون العيشة الهانئة وجالات الطبيعة ، الى ما هنالك من الاحاسيس ، بحيث ترى القرم الشاعر العالمي الذي يحاذي صاحب «الانياذة» او صاحب « الالياذة » . عند هوميروس بشرية تخفقُ بجموع عواطفها ، وعند القرم كذلك .

ويعلو الشاعر اللبناني اصحاب الملاحم الاولية بإنسانيّته . وانك لتعجب لهذا الذي يقول « بالوطن » كيف ينمره « شعور انساني » الى جاره او الى ابعد قطر في العالم . كيف يريد هذا الهتلري اللبناني استقلال وطنه ورفعه الى الاوج دون ان يخالجه الشعور الملحمي الاولي بالانقضاض على ألزاس أو لورين يقتل ويذبح . ولا أعلل روح الوطن تمتزج بروح الانسانية في قلب الشاعر الا بان « القرم »

نشأ في بلاد مستعبدة وفي قرن انساني فاذا هو هوميروس في محبة ابطاله ووطنه واذا هو فوق هوميروس في محبة الانسانية[1].

ويسترسل الشاعر في آخر النشيد في التغني بآثار بلاده وطبيعتها بما يقرب من العبادة. نترك تاديشا وبعلبك وناوي على نشيد الشمس فنحسُّ رعشةً لا نعرفها الا عند الكونتس ده نوايل او في بعض مذاهب الشعراء السنسكريتيين الذين أثروا على الشعر الفرنسي في اواخر القرن الماضي. فهذا الانفلات من الارض وهذا الشعور الفياض بالوهج لم تعرفهما اوربة الا في انفلاتات صاحبة « Eblouissements » فهي تقول في قصيدة « إعطاء »

« انا اترك لكم . . .
نظري وجبيني ،
ونفسي المشتعلة ابدًا والسكرى ابدًا ،
حيث تتساب ايديكم ،
اترك لكم شمس وجهي الوضاءة ،
والملايين من خيوطها .

أترك لكم قلبي ، وكل تاريخ قلبي ،
وعذوبته البيضاء .
وفجر خدّي ، والليل الازرق الاسود
المفعم به شعري . »

١) وان هذه « الانسانية » في آثار القرم هي التي دعت « جوقة الاستحقاق الانساني العامة » في جنيف الى منحه لقب ضابط في جوقتهم وقد اوضحوا اسباب ذلك في كتابهم المؤرخ في ١ ايلول ١٩٣٤، فاذا هم يعرفون لشارل قرم « خدماته في سبيل المجموع الانساني ؛ وتبيره » في « الجبل الملهم » ، عن اشرف العواطف واسماها » .

ولا شك في ان هذه العاطفة الانسانية نفسها ، المترفّعة فوق الزمان والمكان ، هي التي دفعت جمعية الشعراء الفرنسيين الى تفضيل شاعر « الجبل الملهم » على شبان الشعراء المنتمين الى اربع عشرة دولة ، المتبارين في نيل جائزة أدگار پو للشعر الاجنبي باللغة الفرنسوية ، فبزّهم شاعرنا ونال الجائزة المذكورة ، على نحو ما نشرته شركة هاڤاس ، بتاريخ ١٧ ايار ١٩٣٥ (المشرق)

ويقول القرم للشمس :

« خذي جسدي ،
في ذهبك الزلال .
خذي البرونز والتبر ،
من ايّ اجلادي .
والابنوس والمخمل من قاتم شعري .
والمرجان من فمي، والعسل من عيني .
إنني اقدم ذاتي اليك ، يا شمس . »

...

ولو يمكن للترجمة ان تبقي خفايا الشعر ، و«ما لا يقال» من الشعر ، لاثبتُ من هذا النشيد ما استشعره الفرنسيون في قصائد ده نوايل ، ولكنهم لم يصلوا اليه مع ايّ شاعر مثلنا مع القرم.

على اننا مهما اعتدنا عند الاوربيين من شعر وضعي (réaliste) ، فلا يمكننا ان نقبل من شاعرنا بعض تعابير توحي الينا الآلات ، او بعض طرق في التعداد تذكّرنا الطرق الحسابية ، ولكنها تكاد تغرق بما يطفو عليها من طول نفس وفيض شعور. أما التعابير الآلية فهي ، ولو قليلة في قول الذكرى، كثيراً ما تعمل على تبديد الحالة الشعرية التي يكون النشيد قد بلغ بها الاوج .

من وسائل القرم في الاخراج : الايحاء . يعمد الشاعر الى تكبير القلوب وتقوية الايمان بهذا الوطن الصغير ، فيتغنى بتاريخه وجمالاته يوحيها ايحاء مختلفاً وبنفس طويل هو من خصائص شاعرنا ، دون بقية الشعراء اللبنانيين ، فيرفعك الى الحقيقة على الموسيقى والصلاة وما « لا يعبّر » عنه من البيت.

ان القرم في « جبله الملهم » لمدرسة وطنية وشعر.

***

وبين « الجبل الملهم » و«بيت الحقول » شقة متسعة . ومن يقرأ ميشال شيحا على اثر شارل قرم يحس وتراً آخر اقلّ فخامة واكثر نعومة . فلبنان في « بيت الحقول » لا يخفق ، والوطنية تترك الصوت لاختلاجات نفس قلقة تتسائل وتحبّ وتحنّ.

لا يصل جرح الشعر بميشال شيحا الى اجواء شارل قرم بل يظلُّ عنها بعيداً، ولكنه يسحرك ببعده.

أقف امام «بعلبك» أو بين أظافر «ابي الهول» فاحسّ اني صغير حقير، أتلاشى من اسفل الى عالٍ، فأدهش وأعجب وأرهب، وأحسّ كأن يداً تنزل مثقلة على رأسي تقول: «إخشع». فاخشع.

هكذا أنا من «الجبل الملهم» او اللون المسيطر فيه.

وأقف امام رسم رصاصي «لبوشه» تناسقت خطوطه واستيقظ نصف يقظة، عذباً طرياً، ثم أتلفت متواضعاً بما يشيع حوله من موسيقى فأحسُّ اني اتقدم اليه من نفسي واحس انه اخي، لا تكلف بيننا ولا تباعد، فاطبع على ثغره قبلة هادئة ناعمة خوف ان اخدش الحلم الذي يشيعه. هكذا انا من «بيت الحقول».

على انني في بعض مقاطع من شارل قرم، مقاطع التغني بجمال الجبل وغذارى الجبل واساطيره، أشعر بما عرفته ازاء ميشال شيحا. ولكنني في قصائد شيحا لا اشعر بما عرفته ازاء القرم. صاحب «بيت الحقول» يبدو رصيناً في عاطفته عميقاً. وقد تتنازعه «الرواقية» ازاء الحياة، وان يكن يرى بعض الاحيان «ساعة وردية حيث النحلة السكرى» او يستوي عنده الحب والالم فهما «ينبوع افراحه وينبوع آلامه». ولا يقدر ان يعيش بدون حب فيعاتب الله على ذلك ويقول: «يا ربي لقد خلقت لي قلباً كبيراً عليَّ»

اذا كان القرم في انفلاته يشبه الكونتس ده نوايل ويزيدها في هذا الشعور، فان شيحا بما يغمر نفسه من عاطفة عميقة لا يطمع الا بمجاراة صاحبة «شرف العذاب» أو «القوى الابدية».

وشاعرنا متزن اللهجة يتكامل الحلم عنده على مهل كيقظة الفجر في الصباح الضبابي، هو فيلسوف يتساءل عن اسباب كثيرة ويجيب باتضاع موفق. ولقد يقع من الفلسفة في قصائد تظهر فيها مذاهب الكتب المدرسية فيعدم الفنّ شأنه في قصيدته «فلسفة». واجماعاً نرى شيحا يضرب دائماً على الاوتار العميقة الناعمة، لا يدرس العواطف فقط بل يدرس دقائق العواطف، فهو مرّةً ذكرى

ورنة حنين، وما أدقّ الفرق بين الاثنين. وهو ملاحظ دقيق يعود من باريس وفي قلبه احاسيس نافرة لخطوط هناك خافتة. فيقدّم لنا في ابياته «البركة» راهباً في ثوبه الاسود كانه آتٍ من «اعماق العصور الوسطى»، او يصوّر لنا قصوراً ذات عتق، تطلّ منها اطياف الاميرات اللواتي يتحدثن بالغرام على اثر حضور القداس.

وفي قصائده «الحصاد الجديد» رعشةٌ يخصب فيها السكوت والحلم وكل ما يوحي حالات القلب البشري، بليغة في ابهامها، ضبابية في جمالاتها. ان ميشال شيحا شاعر الدقائق في العاطفة وشاعر الايحاء. واذا يصف قطعة من الطبيعة فليقول لنا كيف تنعكس في قلبه واي تأثير تحدثه. وبينا هو في غمرة من الكآبة تراه يطلّ حاملاً مخارج من متاعب الحياة، فاذا القصيدة ذات روح حكمية، روح اودُّ ان تطفو على طريقة العرب في الحِكَم، تلك الطريقة العقيمة التي تقوم على «افعل ولا تفعل» من مثل قصيدة ابن الوردي.

لم يخرج الشاعر في كل ديوانه تقريباً عن النظم المدرسي تغمره الموسيقى والالفاظ والتعابير الايحائية. وانه في «ملاحظات باريس» و«الحصاد الجديد» شاعر التأملات الخصبة التي لا يُخشى الاسترسال بها، فهي بالعكس تعطي القصيدة تلك الجمالية التي تُرقي الشعور ان بجوّها الفني او بغمرتها الحكمية.

***

ويتوشح «القصر العجيب» لايلي تيّان بما يسمونه «لذة التخيّل» على ان هذه اللذة في القصائد الاول، اذا توفقت في الاخراج، فتتوفق في روح القصيدة اجماعاً او في عنوانها، لا في مقاطعها او تعابيرها منفردةً. يأخذ ايلي تيان موضوعاً كتبياً اعطاه الزمن روعة القدم وروعة الايحاء. «كالحسناء النائمة في الغاب» او «الصغرور الازرق» او «ربة الشعر» — وكلٌّ من يعرف «حكايات الجن» في الفرنسية يعرف الروعة التي لهذه المواضيع — ولا يحرك شاعرنا حول هذه المواضيع كثيراً، ولكنه اذا يحرك شيئاً فبلهجة المناجاة، فتصف القصيدة بعضاً من حالات النفس كالامل والشوق والحنين.

اما بقيةُ الديوان فمناجاة عاطفية قد تطول وقد تقصر، نكاد لا نؤمن

بروعتها الشعرية لولا الموسيقى التي فيها،والموسيقى احياناً هي الشعر كلُّ الشعر.

وفي الديوان قصائد اخر حكمية تقوي الايمان بالحياة، وقصيدته « نصيحة » هي تفاؤل قوي،نود لو يطفو على الكثير من القصائد المائمة عند شعرائنا بالعربية على انك كلما تقدمت في الديوان تلألأت لعينيك الطريقة الايحائية الصافية وقلت التراكيب المبدّدة للحالات.

ويفضل التيان شيحـا بقصائده الاخيرة المعنونة « يا بلادي » اذ يعود الى طريقة القرم في التغني بلبنان.

ولقد قرأت القصر العجيب منذ سنتين وهو يومئذ مخطوطة لم يكتشفها صاحب « المجلة الفنيقية » فاذا هو خاوٍ من هذه النفحة اللبنانية، فهي اذن من نظمه الحديث.

والوطنية في قصيدة « يا بلادي » صورة للكثير – ان لم اقل للمجموع – من النفوس اللبنانية التي لم تصل بعد الى ايمان شارل قرم بعبادة لبنان، ولكنها على الطريق.

وفي هذه القصيدة مقطع دقيق الوصف هو بين أرقى ما قرأت من شعر. قال التيان :

« ولكن (يا بلادي) ما مثلك أحد له هذه العذوبة الجريح ،
هذه الفتنة الحزينة.
من روح أُحبّت ولكنها تُركت ،
على انها ظلت تبتسم. »

لا يصل « التيان » إلى نَفَس القرم الطويل ، لا يصل الى تلك القوة في الاداء. على انه رغم ذلك يعرف ان يساوي بين عواطف قصائده الرصينة والقول المتّزن.

واجمالاً ، ارى ان ديوان ايلي تيان على روح جمالية لا تنفك تغمره الى النهاية.

***

وهكتور خلاط ؟ قد يكون اول من تغنى بلبنان اذا اخذنا بتاريخ

قصائده ، على ان هذه القصائد اللبنانية لا تعلو عن مستوى شعرنا العربي الظرفي .

وآسف ان يكون مثل هذا الاداء لمثل هـذا الاسفاف في المواضيع والفكر .

فقصيدة الاستهلال ، وشكر الكونتس ده نوايل، ومديح شبلي ملاط ، لما يوحي عكس الاعجاب . اما القصيدة الاخيرة فتضرب المقياس بهزال الابتكار وقوة الصبيانية :

فقد الشاعر واحدة من ربّات الشعر التسع — وياليته فقد الجميع ! — فجاء يسأل عنها اترابها . وهذا جواب احداهن بالحرف :

« . . . يا من لا يمكن اصلاحه ، يا خلاط ،
أنت تريد أختنا في لفتة الغباء
اذهب فتراها تحت سقف الملاط »

وفعلًا تجيء القافية . . . واذا « خلاط » قافية « للملاط » . . .

وشاعرنا كما يظهر على بعض الاتصال بالادب العربي ، فهو يلتقي بالشاعر العربي الذي يشبه الحاجب بالنون ، ولا ينقصه الا ان يسرق مثل هذا التعبير من « شاعرنا الكبير » :

ضربتني فآلمت ، لا كضرب دار في النحو بين زيد وعمرو

وفي الديوان ، عدا هذا النمط العربي ، مجموعة بعنوان : « مقاطع نرجس » أذكر اني قرأتها في « المجلة الفنيقية » ، وكل ما يقال بها : « انها مقبولة » ولا ينبغي كثير عبقرية ولا كثير اسفاف ليكون الشيء مقبولًا .

اما القصيدة التي تشرف الشاعر ، او الادب اللبناني اجماعاً ، فهي « الرقص تحت الارز »

حقًا ان للشاعر خلاط دَيناً على كل فنان لا يدرس هذه القصيدة درساً عميقاً ويطربها . فهي وحدها ديوان .

واذكر اني قلت لاحد شعرائنا ، ونحن نقرأها معاً :

« اني لم اشعر بمثل هذا الشعور الا عنـد قراءتي « الروح والرقص » لبول ثاليري » .

في القصيدة وصف عاطفة تندفع رصينـة ثم تعلو الى الجموح على روعة فنية لا تخدشها نبرة . يظهر ان الشاعر قد افلت من يده الى الموت حسناء غالية يذكر لها رقصها في ظلال الارز . فاذا يحجّ يوماً الى المكان ، حجّ ثني الى رونسّو ، يرى في انغام الناي أشجى من رؤية شاعر « الصُور » فيقدّم لنا من خلال الذكرى والحنين والاعجاب ، والنشوة ، ألف صورة وجراجة ضاحكة فتانة لتلك المحبوبة الراقصة . ويطول الوصف الفني ، دون ما اسفاف ، بل يزداد ارتفاعاً كانه يتناسب وعاطفة الراقصة المتزايدة مع نشوة الرقص .

واذا ينفلت الشاعر من الموسيقى الشائعة على خطى الراقصة ، يجهش في صرخة دامية :

« ايتها الراقصة ، ذات الخطى المضطرمة ، ماذا حلّ بك ؟ ! »

لقد قرأت القصيدة مثنى وثلاث وسأقرأها طويلاً ، اتمتع بعاطفتها المضطرمة والحنون معاً ، واخراجها الايحائي الرفيع المتلئ المستوى ، وسأظل اجد فيها صورةً للشعر رفيعة .

***

لم يكن شعراؤنا بالفرنسية واقفين على الادب العربي ، يستوحونه ، فنشأوا شخصيّين ، لم يعرفوا تشابيه العرب فيأخذوا بها كغيرهم ، فنشأ شعرهم مبتكراً بعيداً عن « القوالب » التي يأخذها شاعرنا بالعربية عن الاقدمين ، لا لانه يجدّها بدوره بل لان اولئك قالوها في مثل ظرفه .

واقترن الابتكار عندهم بالثقافة فولد شعراً مخلصاً وفنياً .

اما الاخلاص ففي وصفهم بلادهم يوم لم ينكر شاعر عربي بها ، فخدموا النهضة الوطنية ، اذ تغنوا بامجاد البلاد واظهروا امانيها . واما الثقافة ففي درسهم النفس والتعرض للمشكل الفلسفي .

وانا ، بعد مقاطع ميشال شيحا العميقة ، لعلى كثير تفاؤل ببلوغ مكانة يحترمها الغير ، وبعد الروح الانسانية التي تغمر « الجبل الملهم » ، لعلى تطلع جريء الى أبعد من الحواجز والحدود .

هذا فضل المعين الاوربي علينا ، المعين الـذي ارجح اتجاهنا اليه بعد فترة الحيرة التي نحن فيها.

ولا يزعم زاعم ان الفضل في نجاح شعرائنا بالفرنسية يعود الى اللغـة التي نظموا فيها ، فهذه اهانة مجانية للغة العربية ، يجب ان ترد الى المقلّدين او غير المبتكرين . فشارل قرم نفسه ، بعـد ڤاليري ولامرتين ، يتذمّر من اللغـة الفرنسية ووضعيتها في الاداء الشعري ، فالعربية ـــ والفاظها غير خاصة لانهـا لم تغرق بعدُ في التآليف العلمية ـــ هي خير من الفرنسية في الاداء الشعري.

واني في النتيجة لا افهم هذا النجاح في شاعر لبناني يخفق قلبـه بالشرق واماني الشرق وينظم بلغة غريبة عنه ، الّا دليلًا على عدم تجزؤ الروح في العالم، واتمنى الّا يقال بعد اليوم : « روح غربي وروح شرقي» . ان هذه النغمة ستمسي قديمة ، والنفس البشرية واحدة أين كانت.



شوقي على المسرح

شوقي والفن

بقلم ادوار حنين

شوقي وبعض المبادئ المسرحية (تتمة)

المحسّنات التمثيلية

ثم تعرض مسألة المحسّنات التمثيلية من ترتيب الزينة، وتهيئة الانقلابات، وما كان من امرها وشوقي.

ففيما يتعلق بالزينة، علينا ان نميّز بين الزينة الخارجية اولاً من زينة الاشياء وزينة الاشخاص، والزينة الداخلية ثانياً.

امّا الزينة الخارجية فمماً لا مراء فيه ان شوقي اوجد ما يلائم قصور المماليك في «علي بك الكبير»، وقصور قدماء المصريين في «مصرع كليوباترا»، و«قمبيز»، ومضارب الاعراب في «عنترة» و«مجنون ليلى». وقد خصّ كل قوم بما يناسبهم من الثياب، فرأينا عنترة مثلاً عربياً في ارض عربية، والفراعنة مصريين في دور مصرية.

الا ان هناك الزينة الداخلية، اعني عادات الاشخاص واعتقاداتهم وكل ما من شأنه تذكير الناظر بعصرهم وباصلهم العربي او الفارسي او المصري او الاندلسي او الشركسي.

فمن هذه الناحية، لا نشك في ان شوقي جعل الفارسي (قمبيز) والمملوك (علي بك الكبير) والشركسي (مصطفى اليسرجي) والرومي (انطونيو) والاندلسي (بثينة) والمصري (نتيتاس) على مثال واحد، هو المثال العربي. ان هؤلاء اجمعين ينهجون منهج الاعراب في حياتهم العادية والعائلية والاجتماعية... هذا نقص كنا نودّ لو فطن له شوقي، اذاً لكان اصلح من امره الكثير.

ولا اظنني افاجئ احداً ان قلت ان شوقي « العربي » لم يحسن تصوير العرب الاقدمين فيما ذكره عن عنترة وعبلة والمجنون وليلى وغيرهم . افما رأيت كيف اخطأ تصوير السيد العربي[1] ؟ اجل، ان شوقي لم يحسن تصوير العربي في محيطه العربي وبيئته العربية، وان اورد في « مجنونه » بعض ما يقنع القوم بانه حريص على عادات العرب واعتقاداتهم[2] . ذلك انه لم يستطع نقل الحاضرين من بيروتهم وقاهرتهم وبغدادهم الى بادية نجد حيث عاش المجنون وليلاه ، والى احياء بني عبس وبني عامر وما جاورهما حيث عاش عنترة وعبلة وربعهما .

الانقلابات

وننزانا مسوقين الى التحدث عن الانقلابات في حديثنا عما خص المحسنات التمثيلية .

فمما يجدر بالذكر هو ان شوقي لم يكثر من استعمالها ، وانما اقتصر على اللازم الضروري .. ومع ذلك نراه لم ينجح في هذا القليل الضروري ، فانه لم يحسن واحدة منها ، حتى في احرج المواقف ، وادعاها للابداع . وهل للمجنون احرج من الموقف الذي يخبر فيه ان ليلاه ماتت ؟ ...

فانظر كيف اعده شوقي وكيف اوقعه ، واحكم .

لقد جاء في الصفحات ١٣٤ من « مجنون ليلى » وما اليها ما يلي :

يظهر بشر قادماً الى المقبرة من ناحية الحي ، اذ كان قيس ينشد قصيدته الساحرة في الذكرى :

« جبل التوباد حياك الحيا وسقى الله صبانا ورعى »[3]

فيقول بشر :

عزاء قيس .

قيس مَن ؟ بشر ؟

بشر أجل !

قيس فيمن تعزيني

---

١) راجع « مشرق » السنة الحالية ، ص ٨٦–٨٨

٢) مجنون ليلى، ص ٢٤، ٧٢، ٧٤، ١٢٦ ...

٣) مجنون ليلى، ص ١٣٢

انا الميْتُ ، يا بشر ، وان أخرَ تكفيني

يضطرب بشر وقد ادرك جهل قيس وحرج الموقف فيتهامس وزياد . . . ثم يسأله قيس عن الحي واهله وعن امه ومهاره ، واذ هما آخذان بالحديث يضطرب بشر ثانية فيسأله قيس :

قيس ويح بشر ماذا به ؟

بشر قيس!

قيس بشر انت في نفسك المغيبة ساتر
تشبه الحزن والبكا نبرات لك كانت كضاحكات المزاهر

بشر : الى نفسه ثم الى قيس
ربِّ ماذا اجيب ؟ لا شيء ، ياقيس،

قيس بل الحزن في محياك ظاهر
ولقد راعني لك اليوم جدّ من خليع العذار بالامس سادر

تغرورق عينا بشر بالدموع
ما جرى ؟ ما الذي اثارك يا ابن العم ؟ ما هذه الدموع البوادر ؟

بشر قيس ، لا شيء

قيس بل كنت جليلاً هذه وجمة النعيّ المحاذر

بشر قيس!

قيس . لا تجم ، ولا تخف شيئاً ، انا ، يا بشر ، بالفجيعة شاعر
خلجت،قبل ناتقي،عيني اليسرى وريع الفؤاد روعة طائر

بشر اعفني ! اعفني ! بربك ما انت على ما اقوله لك قادر

قيس امات !

بشر اجل قضت امس

قيس والبلاء !

بشر ما اشدّ المقادر

هذا انقلاب لا اظنه احدث في قلوب الحاضرين ما ينتظره المؤلف الرواني من انقلاباته . ولماذا ؟ ألانه لم يحلّ محلًا حسناً في سياق الموضوع ؟ لا . اذ اي موقع احسن من هذا الذي هو فيه : ماتت ليلى . . . قيس يجهل الخبر . . جاء بشر معزّياً فكان الناعي . . . ان الموقف لمختار وفِّق فيه المؤلف.

فلماذا اذاً اخفق شوقي ؟

ذلك انه جعل الكلمات الاساسية في هذا الانقلاب :« ماتت » . . . « ليلى » . . . على سبيل الاستفهام،اذ قال قيس :« أماتت » ؟

ذلك ان شوقي اسقط اسم ليلى الذي، على ما ازعم، يحدث حدثاً لا يقوى عليه الضمير.

ثم ان شوقي جعل الخبر على لسان المجنون نفسه ... فكان القائل والسامع فاي وقع تحدثه كلمات على مصدرها ؟! اما لو قيلت على مسمع من قيس، لا منه مباشرة، لكانت ابعد اثراً في نفسه ونفوس الحاضرين.

واظن ان شوقي لم يحسن تمهيد حدوث الانقلاب، اذ جعل «المجنون» في حالة محزنة لا يستغرب معها خبراً من الإخبار ... فهو يستنظر كما قال خبر سوء:

لا نجم ولا تخف شيئاً انا، يا بشر، بالفجيعة شاعر
خالجت، قبل تلتقي، عيني اليسرى ووبع الفؤاد روعة طائر

ولو انه اعطاه حالة فرح ومرح ينشد معها الشعر ويحتسي الخمر ويناجي شبح ليلى لكان وقع الانقلاب في ارض صالحة، واحدث ما يرتجيه المؤلف منه.

ثم انها رأيت شوقي كيف يمط الحديث دون ما مبرر؟.. وكيف اوقف مجرى افكار قيس في سبيل هذه الغاية؟ اذ ما الذي دعا قيساً الى الاقلاع عن الحديث الاول الذي تناول فيه بشر العزاء الى آخر تناول فيه قيس الاستعلام عن الحي ... وكيف اعاد الحديث!! كل هذا من التكلف والتصنع على جانب كبير.

ونحن ذاكرون لك انقلاباً آخر لا يبعد بالنوع عن هذا لتحكم فيه ذوقك دون ان نعلق عليه حرفاً[1]

مصطفى انت تحبها[2]
مراد اجل!
مصطفى انت؟
مراد اجل؟
مصطفى حذار، يا مراد، من هذا الهوى
مراد: مضطرباً:
ولم؟ وما آمالي؟ اهي من دمي؟ ام هي لحمي؟
مصطفى هي، والله، ما

1) علي بك الكبير ص ١١٢ 2) الضمير عائد الى آمال

مراد: اختي؟

مصطفى: اجل اختك

مراد: يا لي ولها من هول ما كنت عليه مقدماً!

شوقي النفساني

اذا ما فهمنا «بالنفساني» ذاك الكاتب الذي يرى عادات البشر واعمالهم فينقدها ليقوّم المعوجّ منها، يجب ان نعجل بالقول ان شوقي ليس بذاك الكاتب. امّا اذا كان المقصود من ذاك الاسم الرجل الذي يعرف ان يقرأ بعض ما يجول في النفس البشرية، فقد لا ينكر على شوقي بعض محاولات وُفّق فيها احياناً، على بعض شذوذ واضطراب.

لقد حاول شوقي — مع بعض التوفيق — تصوير الرجل الحازم الذي لا تثني عزيمته الموانع الجدية، مهما صعبت وكثرت، الرجل الحديدي الذي يضع نصب عينيه غايته فيسعى اليها امثال عنترة، واكتاڤيوس، وقمبيز. وقد حاول، مع بعض النجاح، تصوير النفس اللئيمة في مالك وڤانيس، والنفس العاقّة في محمد ابي الذهب ومراد بك، والنفس الامينة في شرميون وهيلانة واوروس وزياد، والنفس العزيزة الشريفة في ضرغام وليلى، وكلها صور ولكنها قاتمة يطفو عليها وشاح من العجز والتقصير يستدعينا الى استرجاع ذاك البعض القليل من مقدرة الكاتب النفساني الذي اقررنا له به.

شوقي والشعب

ولشوقي النفساني آراء في الشعب. وهي وان لم تكن مبتكرة، فعلى جانب يذكر من الصحة، اذ صوّره لنا عبد الاشاعات والاخبار السيّارة، كثير التقلّب والتغيّر.

امّا الصورة الاولى فواضحة في المشهد الاول من الفصل الاول من «مصرع كليوباترا»، حيث نرى الشعب، وقد انتهت موقعة اكتيوم البحريّة، فرحاً جائباً الشوارع والازقّة، رائداً حوالي القصر، هاتفاً بحياة مليكته، هازجاً اهازيج الانتصار والحبور، في حين ان مليكته لم تلقَ الا الانكسار وعار الهزيمة والشنار. هذا ما فسح المجال لشوقي فقال:

إسمع الشعب ، ديون ، كيف يوحون اليه
ملأ الجوّ هتافاً بحياتي قاتليه
أثّر البهتان فيه ، وانطلى الزور عليه
يا له من ببغاء عقله في أذنيه ! (١

أما الصورة الثانية حيث يتراءى لنا الشعب احمق ابله كثير التغيّر والتقلب ، ففي « مجنون ليلى » اذ يخطب منازل في القوم مظهراً حسنات قيس مقرّظاً صفاته ، ثم لا يلبث ان يثيرهم عليه بقوله :

. . . . اذن ما بالكم لم تثوروا ، ما لكم لا تغضبون ؟
هوذا قيس مع الوالي اتى يطأ الحيّ ، وانتم تنظرون
قيس لم يترك لليلى حرمة ، ما الذي انتم بقيس فاعلون ؟
صوت: ماجن لا بد من تأديبه !
صوت آخر : ان بالسوط يربّى الماجنون !
منازل حلّل السلطان بالامس لكم دمَ قيس ، ما الذين تنتظرون ؟
صوت حلل السلطان بالامس لنا دمه !
صوت أنا بقيس فاتكون ! (٢

يسمع ضجيج واندفاع ثم يصعد بشر منبر الخطابة فيجتمع حوله جماعة من الناس :

قائل ارجموا يا قوم هذا منبر ، وخطيب ،
سائل ليت شعري من يكون ؟

فيخطب بشر ثم يعقبه زياد فيستميل اليه الرأي العام مكرّهاً القوم بمنازل ، فيشتم القوم منازلاً بعد ما هتفوا لقوله مستحسنين . واليك المشهد(٣) :

زياد منازل ، كنت كثير الكلام ، ووالله ما قلت الا الكذب
صوت اترعمه كاذباً ، يا زياد ، وقد ذاد عن حرمات العرب
زياد رويدك ! لا تنخدع يا فتى ، ولا تأخذ الامر دون السبب
صوت منازل ، دافع عن نشّة ، معظّمة من قديم الحقب
زياد تأمل ، منازل ، سخط الجموع ، وجهلك ماذا عليهم جلب

---

١) مصرع كليوباترا ، ص ٣
٢) مجنون ليلى ، ص ٥٨ ، ٥٩
٣) مجنون ليلى ، ص ٦٦ وما بعدها .

اجل قد غضبت، ولكنما لنفسك، ليس لليلى الغضب
غضَّ على قتل قيس الرجال لتحظى بليلى، اذا ما ذهب

اصوات ايحظى بليلى ؟
زياد نعم
آخر أينْ
ثالث ان هذا عجب
زياد ـلوه الم يكن يشى النَّديَّ، ويطلب ليلى اشد الطلب
صوت اذا كان يخطب ليلى ؟
المهدي نعم
صوت اذن قد تجنَّى !
صوت اذن قد كذب !
زياد منازل، قل لهو كم ضرعت الليلى، وكم اعرضت لم تجب
صوت منازل اخدع وغشَّ غيري
آخر قد جاز الا عليَّ كذبك
ثالث وما انت الا جو شقيّ تحبّ ليلى ولا تحبّك.

شوقي المهذّب

هل يصحّ في شوقي ما قاله «ڤولتير» في كورنيل : «ان رواياته التمثيلية مدرسة لعزّة النفس والاباء» ؟

افلا نجد مبررًا لهذا الزعم في «نتيتاس»، ابنة فرعون «ابرياس»، التي ضحت بصفو عيشها وهنائها في سبيل فداء تربة الاجداد من همجية «قمبيز»، اذ رمت بنفسها بين يديه لخلاص الامة المصرية جمعاء.

وليلى ؟ ! او ليس فيما صدر عن هذه الفتاة العربية من تضحية بالحب وتقديس للشرف والواجب ما يُعد مبرّرًا لما سبق ؟ واية فوارق تفرقها عن «شيمان» في «سيد» كورنيل ؟ ؟

وايّة أمة هي آمال ؟ انها لمن الحرائر اذا ما استُند الى اعمالها للحكم عليها...

واية ميتة ماتها انطونيو وكليوباترا اللذان عاشا في اللهو والفسق طيلة ايام حياتهما جنباً الى جنب ! ! شرّ ميتة : بالانتحار.

اما طريقة شوقي في التهذيب والتعليم فهي مزدوجة. فالطريقة الاولى كانت في ان يعرض اشخاصاً حياتهم مثال الحياة الصالحة واعمالهم منهاج صادق لاعمال الخيرين[1] . والطريقة الثانية كانت في ان يصوّر اشخاصاً فاسقين كانطونيو وكليوباترا على شرط ان ينيلهم جزاءهم السيء قبل الانتهاء.[2] .

وكلتا الطريقتين تبلغان بصاحبهما الى نتيجة حسنة. الا انه يخاف على متبع الطريقة الثانية من مخاطر الشهوة واهوالها بان لا يعلق في واصف الجمهوز الّا القبيح المرذول.

وقد اضاف شوقي الى عمله هذا عملاً تعمّد فيه وعظ القوم مباشرة فلم يكن بأحسن ما فعل وذلك بايراد ابيات حكمية في سياق المواضيع ... ومن ذلك قوله :

وداعاً ، عروس الشرق ، كل ولاية وان مزّت الدنيا لها الموت آخر (٣

وقوله :

من القصر لا تلتمس خلوة وان هو من كلّ حس خلا
سماء القصور لها اذنا ن، وارض القصور بعين ترى (٤

وقوله :

وما كمى الشيوخ اذا احبّوا وليس وراء غيرتهم بلاء (٥

وهذا :

ولدي ، اهجرا القصور فاني قد وجدت النعيم فيها غريبا (٥

وهذا :

وماذا يقول العاجزون اذا ابتلوا ؟ يقولون: حكم الله، يانفس، فاصبري ! (٦

هذا وليس من المستنكر ان ينتج عن الرواية امثولة صالحة — لا بل انه لا بد من ان ينتج عن الرواية امثولة . قلنا : فلتكن صالحة بدل ان تكون طالحة على شرط ان لا يكون همّ الروائي الاكبر الوعظ والارشاد ...

---

١) طريقة تتبعها في « قمبيز » ، « مجنون ليلى » ، « علي بك الكبير »
٢) طريقة تتبعها في مصرع كليوباترا مثلا
٣) مصرع كليوباترا ١١٢ ٤) مصرع كليوباترا ٢١-٢٢
٥) « « ٩ ٦) « « ٦٠

شوقي الشاعر الوطني

وقبل ان نختم هذه الشذرات علينا ان نشير الى ان شوقي كان في معظم رواياته شاعراً وطنياً . ولا سبيـل للمماكسة اذ ان نظرة الى اسماء رواياته تكفي لاقناعنا :

مصرع كليوپاترا	رواية مصرية
قمبيز	رواية مصريّة
علي بك الكبير	رواية مصريّة

فكلها تدعو الى مصر وابنائها وتاج الفراعنة.

ولم يفته كذلك ان يدعو الى الوحدة العربيـة والعرب كما اشرنا سالفاً ، مكتفين بما تقدم .

المبنى في روايات شوقي

لشوقي ، كما سبق لنا القول ، خمس روايات شعرية ورواية سادسة نثرية . فما هي صفات شعره ونثره في هذه الروايات ؟

ولنبحث قبل كل شيء في صلاح الشعر العربي للتمثيل.

لقد صلح الشعر العربي منذ القدم للمدح والفخر والرثاء والوصف والغزل والهجاء. فكان لنـا ما نسميه اليوم « الشعر الغنـائي » وارباب كثيرون عند العرب في كل عصر من العصور.ولم يعجز عن استيعاب الحكم والآراء الفلسفية، كما دلَّ على ذلك شعر زهير بن ابي سلمى وطرفة في الجـاهلية ، وشعر ابي العتاهية وابي العلاء في الاسـلام ، وغيرهم من السابقين واللاحقين.وقد ثبت لنا ايضاً انه لا يقصر عن وعي القصص طالت او قصرت ، والياذة هوميروس التي عرّبها سليمان البستاني شعراً تفحم من يحاول الانكار... افيصلح هذا الشعر للروايات التمثيلية ، كما صلح لذلك شعر كورنيل وراسين وغيرهمـا من شعراء الافرنج ؟

ان رجعنـا في ذلك الى العقل نرى انه لا مسوِّغ للشعر العربي للتقصير في هذا المضمار.

ينظم الافرنج رواياتهم التمثيلية على نوع واحد من البحور ، هو البحر « الاسكندري » اطول البحور عندهم والينها . وقد يندر ان ترى مقطعاً في رواياتهم يخرج عن هذا القياس الطويل . اما نحن ، ابناء العربية ، فلكل ناظم عندنا ستة عشر بحرًا يلج فيها متى شاء وأنى شاء ، ولكل بحرٍ من الاعاريض والضروب ما يزيد على الثلاثة او الاربعة مما يضيف الى عدد الاوزان عددًا ليس بالقليل ، وقد لاحظ أئمة الشعر ، كالعلامة سليمان البستاني في مقدمة الالياذة[1] ، ان لكل بحر من البحور نوعاً من الافكار والعواطف يصلح دون سواه للتعبير عنها . فالطويل مثلاً يتسع للفخر والحماسة ، وسرد الحوادث ، وتدوين الاخبار ، ووصف الاحوال . والبسيط ، الذي يقرب من الطويل ، يقصّر عنه في بعض المواضيع ويفوقه رقّة وجزالة في غيرها . واشار الى ان الكامل هو اتمّ الابحر السباعية ، وانهم احسنوا بتسميته كاملاً لانه يصلح لكثير من انواع الشعر ، وانه اجود في الخبر منه في الانشاء ، واقرب الى الشدة منه الى الرقة ، وانه اذا دخله الحذذ وجاد نظمه بات مطرباً مرقصاً وكانت به نبرة تهيج العواطف . وهناك الوافر ، البحر اللين الذي يشتدّ اذا شددته ، ويرقّ اذا رققته ، وهو يصلح للفخر خاصة . والخفيف ، وهو البحر الذي يصحّ التصرّف بجميع المعاني كما يلاحظ الكاتب المذكور ، ليس له نظير في السهولة والانسجام . وهو ، اذا جاد نظمه ، رأيته سهلاً ممتنعاً لقرب الكلام المنظوم فيه من القول المنثور . والرمل الذي يجود نظمه في الاحزان والافراح والزهريات . وقد يحسن الوصف وتمثيل العواطف في البحر السريع ؛ ويصلح المتقارب للعنف اكثر منه للرفق ؛ والمحدث او المتدارك هو اصلح البحور لنكتة او نغمة او ما اشبه وصف زحف جيش او وقع مطر او سلاح . ثم يأتي الرجز ، اسهل البحور في النظم ، واقلها جميعها في ايقاظ الشعائر واثارة العواطف ، فيجود في وصف الوقائع البسيطة وايراد الامثال والحكم والتعبير عما يريد المؤلف نظمه ، مما لا عاطفة فيه ، ولا شعور قوي او فكر سامٍ يحلّ محل العاطفة .

---

١) مقدمة الالياذة ، ص ٨٩ وما بعدها .

واما الابحر الستة الباقية وهي: المضارع، والمقتضب، والمجتث، والمزج، والمديد، والمنسرح. فكلها، كما قال البستاني، تجود في نظم الاناشيد والتواشيح الخفيفة. وكلها تصلح للمسرح وربما كانت خلقت له، فهي تظهر تلاعب العواطف في اشخاص الروايات والتردد والحيرة، وهي تعي النبرات الغضبية، ولهثات المنازعين، واحاديث الضعفاء، مع كلامهم المتقطع المترجرج. وقد يحسن بالمؤلفين الروائيين ان يلجأوا الى المديد عندما يحتاجون الى النثر للتعبير عما هو بسيط عادي... فاين من هذه كلها الوزن «الاسكندري» مهما لان وتنوع ؟!

وربَّ قائل يقول: ولكن الشعر لا يستعمل الا في التعبير عما هو سام من العواطف والافكار. فنجيب ان عندنا من البحور ما يقرب من النثر فنستخدمها فيما انحطَّ فكرًا وعاطفةً، ونحتفظ بالبحور الموسيقية الرنانة لما يسمو منها ويعلو. ثم او ليس شأننا في هذا المقام شأن الافرنج الذين ينظمون شعرًا رواياتهم التمثيلية ولا يندمون؟ او هل كان شعرنا العربي اكرم محتدًا واشرف نسبًا من شعر اولئك؟ ام كلنا في الشعر سواء؟ فان صحَّ في الروايات عندهم، فلماذا لا يصحّ عندنا وشعرنا اكثر تنوّعًا من شعرهم واكثر بحورًا واوزانًا واقرب، في بعض اوزانه، الى النثر مما سواه من شعر الفرنجة وغيرهم؟!

هذا، وهل صلح الشعر العربي قبلًا للروايات التمثيلية؟ وكيف حاله وشوقي؟

مما لا جدال فيه انه، الى ما قبل شوقي، كان الشعر العربي في الروايات التمثيلية، لا يزال خشنًا قاسيًا لا يلين للاحاديث المسرحية المتنوّعة، ولا يجود في بعض مواقف تتطلّب سرعة في التعبير ورشاقة. وذلك لاسباب قد ثبت لنا فيما بعد انها تعود للمؤلفين، لا لطبيعة الشعر العربي. واهم هذه الاسباب ان اولئك المؤلفين المسرحيين، ما عدا الشيخ خليل اليازجي، والشيخ عبدالله البستاني، لم يكونوا من الشعراء الافذاذ، ولا ممن يكثر نظم الشعر وقرضه. ومن لم يكن شاعرًا فذًا، ومن كان لا يتعاطى الشعر الا قليلًا، فهذا لا يجيد الشعر في اسهل فنونه، فكيف به في اصعبها؟

ثم ان اولئك الشعراء الذين تقدّموا شوقي في وضع الروايات التمثيلية الشعرية ، غير مستثنين واحدًا منهم ، صعب عليهم الانتقال دفعةً واحدة من المحافظة الكليّة على وحدة البحر والقافية في المنظومة الواحدة الى العبث بتلك الوحدات والتنقّل من قافية الى قافية ، ومن بحر الى بحر ، انّى عنّ لهم ذلك ومتى رأوه موافقاً . واثباتاً لذلك نرى ان المؤلف المسرحي القديم — واعني بالقديم كل من تقدّم شوقي — كان يجهد نفسه فيثابر على القافية الواحدة والبحر الواحد في كل فصل من فصول روايته الاربعة او الخمسة . وان اعجزه ذلك كان يرضخ ، وفي القلب ما فيه ، للحكم الجائر الذي كان يقضي عليه بحفظ وحدة القافية والبحر في المشهد الواحد ، واذا استطاع ففي المشهدين او الثلاثة وما فوق .

وهكذا تكاد تخلو كل تلك المؤلفات التي تقدّمت شوقي من مشهد ينتقل فيه مؤلفه من بحر الى آخر ومن قافية الى أخرى .

اما الشيخ عبد الله البستاني ، اكثر الاقدمين تنوعاً بشعره الرواني ، فهو اكثرهم حرصاً على هذه الشريعة النظمية . وقد شهدناه في روايته « مقتل هيرودس لولديه » ، التي تتجاوز الالف بيت[1] ، يبدّل قوافيه ٣٣ مرّة لا غير ، اي انه كان يحافظ على وحدة القافية في عدة مشاهد متوالية . وقد يارح للقارئ ان حنين الشيخ الى القافية المهجورة قويّ جدًا ، فهو لا يكاد يودّع قافية من القوافي الا ويرتع بلقاء أخرى ودّعها قبل حين ، ولا يلبث طويلاً الا ويعود الى التي ودّعها بدءًا . وعلى هذا فانك لا ترى في منظومته الكبيرة سوى خمس او ست قوافٍ تروح وتجيء . ومثل هذا قل عن حنين الشيخ الى بحوره ، فقلما يترك بحرًا لآخر الا ويعود الى البحر المهجور في البداية .

ان احتفاظ الاقدمين الزائد بوحدة البحر والقافية ، كما وصفنا اعلاه ، حال بينهم وبين اكساب الشعر العربي ليناً ومرونة قد اكتسبهما فيما بعد . ونحن ممن لا يداخلهم ريب في ان الشيخين اليازجي والبستاني وغيرهما كانوا توصلوا الى

---

١) في مقتل هيرودوس لولديه ١٠١١ بيتاً .

نتيجة محمودة ، لولا تقيدهم المسرف في اتباع آثار السلف.

وظلّ الحال على هذا المنوال الى ان جاء شوقي وكان قد انفق نصف قرن في قرض الشعر حتى ليّنـه تليينا يحمد عليه ، واصبح يلعب فيه لعباً ، فجعله كعجونـة تتقبّل جميع الاشكال والصور ، معرضاً عن التمثيل الا في السنين الخمس الاخيرة من حياته ، بعد ان صنع في الشعر ما صنع.

فلننظر اولاً كيف لعب شوقي بالبحور والاوزان متبعين ذلك ببيـان عن لعبه بالقوافي.

اما البحور فامرها وشوقي عجيب. فانه، على خلاف اسلافه، لا يحرص على وحدة البحر في الفصل الواحد او المشهد الواحد ان اعجزه الفصل ، وانما يعبث بالبحور عبثاً تاماً ، فتراه ينتقل بسرعة لا تعادلها سرعة من طويل الى قصير او بالعكس ، ومن ابيات لا موسيقية الى ابيات هي السحر والنغم. فانظر كيف جمع النقيضين اذ ضمّ الى مثل هذا الوزن والقول لليلى[1] :

القلب! اين القلب ! اين، يا ترى ، وضعته
يا ويح لي! نسيت اني بيـدي ترعته

وزناً كهذا ، والكلام لقيس :

« وشاة بلا قلب يـداوونني بها وكيف يداوي القلبَ من لا له قلبُ »

ولم يقلّ ازدراء شوقي للقوافي عن ازدرائه للبحور . ومن البديهي انه عند كل انقلاب في الوزن ، نرى انقلاباً في القافية ، والقليل المذكور اعلاه دليلك على صحة ذلك. وانك ترى غير واحد من اشخاص رواياته يخاطب آخر بابيات تربطها وحدة القافيـة ، فيجيبه المخاطب بعجز تكملة لبيت قال صدره المخاطب ، ولكنه يختلف عما تقدّمه قافية ، وان تشابه واياه بحراً . واليك مثالاً على ذلك :

قال سعد : قد فضّه ابن ذريح نقضَ عقداً نظيماً
اثار ليـلى فهاجت كما تنفرّ ريمـا
ترى أتبغض قيما ؟

فيجيب ابن ذريح : لا تغلبوا الحبّ بغضا

---

[1] مجنون ليلى ، ص ٢٥

ليلى العشية غضبى ويصبح الصبح ترضى(١

وكان من المنتظر ان يجيب ابن ذريح سعدًا بما يتمّ عليه بيتًا ابتداه ، وقافية قام بالنظم عليها.

فضلًا عن ان شوقي عرف ان يخصّ كل موقف من المواقف بما يلائمه من اللهجة الشعرية ، وقد اجاد الشاعر حيث استعمل المخاطبة والتجارب...

وابدع في قصائده الطوال ابداعه في « طويلاته » ، خارج الروايات. واي ابداع ابداعه في :

روما ، حنانك! واغفري لفتاك ! اوّاه منك ، وآه ما اقساك (٢
وهذه: ازوس ، ارى الدنيا بعيني اظلمت ، وكانت قديمًا كالصباح المنوّر (٣
وهذه: اليوم اقصر باطلي ، وضلالي ، وخلت ، كاحلام الكرى ، آمالي (٤
وهذه: صبرت طويلًا ، يا بشير ، فما جلا ولا ذلّل الصبر الجميل مصابي (٥
وهذه: سلام على قصر الامارة والفنّ وايوان سلطاني ، ودست جلالي (٦
وهذه: ويحٌ لي ! ويح ! قد قسوت عليه وتجاوزت في العقوبة حدّي (٧
وهذه: سلي الصبح عني كيف ، يا عبل ، اصبح واين يراني نجمه حين يلمح (٨
وهذه: اجل لي ثلاث البس- البيد حائرًا كما يلبس الليل الطويل سقيم (٩
وهذه: لا ، وعينيك ، واعظم بالقسم ! وفم عن غرّة الصبح ابتسم (١٠
وهذه: سجا الليل حتى هاج لي الشعر والهوى ، وما البيد الا الليل والشعر والحب (١١
وهذه: ليلى! مناد دعا ليلى ، فخفّ له نشوان في جنبات الصدر عربيد (١٢
وهذه: ارى حيّ ليلى في السلاح ، ولا ارى سلاحًا كهجر العامرية ماضي (١٣
وهذه: تعالي نعش ، يا ليل ، في ظلّ قفرة من البيد لم تنقل بها قدمان (١٤
وهذه: جبل التوباد حيّاك الحيا وسقى الله صبانا ورعى!(١٥

وغيرها كثير مما تقوم عليه شهرة شوقي اليوم.

---

١) مجنون ليلى ، ص١٦
٢) مصرع كليوباترة ، ٥٦
٣) مصرع كليوباترة ، ٥٨
٤) مصرع كليوباترة ، ٩٨
٥) علي بك الكبير ، ٣٤
٦) علي بك الكبير ، ٣٧
٧) علي بك الكبير ، ٥٠
٨) عنترة ، ٥
٩) عنترة ، ٣٥
١٠) عنترة ، ٩٠
١١) المجنون ، ١٢
١٢) المجنون ، ٤٥
١٣) المجنون ، ٥٢
١٤) المجنون ، ١١٢
١٥) المجنون ، ١٢٢

يبقى ان نقول كلمتنا عن شوقي الناثر :

لقد اصبح من المعلوم الثابت ان شوقي شاعر لا ناثر ، فهو شاعر مجيد، وناثر لا شأن له في عالم الكتابة، لما يتعمده في كتابته النثرية من الزخرف والتسجيع وطلب الاناقة المتكلّف فيها. هذا هو المعروف عن شوقي الناثر. الا انه في «اميرة الاندلس» ، اقلع عما كان فيه ، فاستخدم الانشاء المرسل وابعد عن اسلوبه الزخرف اللفظي ، وطرح جانباً التكلّف ، ظاهراً بمظهر الكاتب العصري ، مع متانة في التعبير واحكام في استعمال الالفاظ . فكأنه ادرك ان النثر الذي اعتاده من عصر غير عصرنا ، وهو لا يصلح للروايات التمثيلية ، فاقلع عنه او قل ادخل عليه بعض التعديلات والتبديلات الظرفية . وخير وسيلة للمس هذه الناحية ، هي ان يقرأ المطالع شيئاً من مقدّمة « الشوقيات » ، او مما سوى ذلك من نثره الذي ورد في غير هذه الرواية او — لكي لا نبعد — شيئاً من مقدمة الرواية نفسها ، ويتبع ذلك بقراءة بعض صفحات من هذه الرواية . فيلمس الفرق ويقرّه .

استهلّ شوقي مقدّمة روايته بقوله :

« جرت حوادث هذه القصة في زمن كان قطعة من ليل الملات . اخذت الاندلس في جنحها الحالك ثم تركته نظماً منحلاً . وركناً مضمحلاً . وشمساً من دول الاسلام سقطت . فالح عليها السقم فاحتضرت . فكانت لنا في الغرب هدّة . وكانت علينا في الشرق حجّة . وخلال تلك القطعة من ليل الملات كان الاندلس تحت ملوك الطوائف وكان. . . ».

واستهل روايته بهذه الاقوال :

جوهر (الى لؤلؤ) : كيف وجدت وجه الملك اليوم يا لؤلؤ ؟

لؤلؤ : كعهده ، يفيض من البشاشة والبشر .

جوهر : بل انت واهم يا لؤلؤ ! ان وجه الملك تغيّر في هذه الايام وبدا عليه التغضّن ، واثرت فيه الهموم اثرها الظاهر المبين .

مقلاص : كان الله عون الملك ، انه ليحمل من هموم الملك واكدار السياسة ما تنوء به الجبال ، لعن الله السياسة وقبّح الولاية ولا جعل لي من اشغالها نصيباً » .

جوهر : واي نصيب كنت تؤمل من امور الدولة ، يا مقلاص ، حتى سألت الله ان يحرمك منه ؟

. هذا ، وقد عرف شوقي ان يعطي كل مرقف لهجته الموافقة ، فللانشائه في الاخبار صبغة خصوصية :

« وكانت لابي الحسن التاجر في لجج البحار ثلاث بوارج وهي الزهرة والثريا والجوزاء . خرجت الزهرة الى الاسكندرية تحمل اليها مقدارًا عظيماً من الزيت الاشبيلي فاخذها عاصف فغرقت في الطريق . واقامت الثريا بعد ذلك بايام مشحونة بالمتاجر المتنوعة الى ثغور الاندلس فصادفها اسطول للفرنجة كان يتجول على الشواطئ فاخذها مغنماً بارداً . وكانت الجوزاء قد سبقت اختيها الى عرض البحر تقصد سواحل المغرب محمّلة الشيء الكثير من مصنوعات الاندلس ومتاجره فشبّت فيها النار فأعيا اطفاؤها فسقطت شعلة في الماء » .

وللانشائه في التخاطب مسحة خاصة كذلك ، كما رأيت مما ذكرناه استشهادًا في اول هذا الكلام . وله مسحة غيرها في الخطابة والامر :

«انقلوا، ايها النبلاء، الى الملك الفونس ما سمعتم، وصفوا له ما رأيتم، وتحدثوا به في طول بلادكم وعرضها . ليعلم الناس هناك ان الاسد العربي لا يُشتم في عرينه وانه لو غلب على غابه حتى لم يبقَ له منها الا قاب شبر من الارض لما استطاعت قوى الانس والجن ان تنفذ الى كرامته من قاب هذا الشبر » .

هذه خطوة ، الى الامام ، خطا بها شوقي بنثره نسجلها له فرحين ، وان لم تصلح نقائص فرطت منه في الفنّ الروائي .

ملحق

نظرات تحليلية في « مصرع كليوباترا »

لقد رأينا ان نلحق ببحثنا هذا عن شوقي ، المؤلف المسرحي ، تحليلاً لاحدى رواياته المشهورة . وقد اخترنا لهذه الغاية رواية « مصرع كليوباترا » التي هي ، في ظننا ، اتمّ رواياته واقربها الى الفنّ التمثيلي ، رغم معايبها الكثيرة . ولذلك ترانا نختصر ما جاء في فصولها الاربعة فصلاً فصلاً ، فنعرض مبيّنين اخلاقَ اشخاصها وطباعهم ، خاتمين بكلمة عن الفنّ فيها .

التلخيص

الموضوع الروائي : مصرع العاشقين : كليوباترا وانطونيوس .

الموضوع التاريخي : هبوط عرش مصر في ايدي الرومان .

المغزى : جاء على ذكره اكتافيوس ، اذ قال مودّعاً جثّة كليوباترا :

وداعاً ، عروس الشرق ، كلّ ولاية ، وان هزّت الدنيا ، لها الموت آخر (١

الفصل الاول (١–٣٣)

قسم الفصل الاول من هذه الرواية الى منظرين :

المنظر الاول (١–٢٠)

تجري حوادثه في مكتبة قصر كليوباترا ، تصف فيه الملكة موقعة اكتيوم .

يُزاح الستار عن امناء المكتبة في المكتبة ، والشعب يهتف ، في الخارج ، بحياة مليكته . تظهر هيلانة معلنة قدوم الملكة ، فتدخل هذه وتسمع اهازيج الشعب بالنصر ، فتذهل ، وتقصّ على حاشيتها اخبار موقعة اكتيوم ، واصفةً الموقعة بدقة قائلة انها عندما رأت الدوائر دائرة على انطونيو ، اركنت الى الفرار ، تاركةً ابناء رومة يتقاتلون ويتمزّقون . . . والغلبة لاكتافيوس .

---

١) مصرع كليوباترا ، ص : ١١٢

المنظر الثاني (٢٠ - ٣٣)

اما المنظر الثاني فقد جرت حوادثه في احدى غرف القصر الملكي، ورحى الحرب دائرة بين اكتافيوس وانطونيوس على اسوار الاسكندرية. الملكة تسعى في زفاف هيلانة الى حابي. انطونيو يكذّب هواجس الملكة، وينتصر في الموقعة البرية.

شعرت كليوباترا بالرابطة التي تربط قلبي هيلانة وحابي وكانت تفتش عن سعادة وصيفتها، فسعت في جمعهما، رغم ما فرط من حابي من مظاهر البغض والعصيان للملكة فاستدعت المتحابين واوقفتهما بحضرة الكاهن انوبيس وتم القران.

وما ان تمت حفلة القران الّا دخل على الملكة جندي يبشّرها بتغلّب انطونيو على اكتافيوس. قليلاً ويأتي هذا متباهياً بنصره، ويطلب الى «سلطانته» ان تحيي على شرفه ليلة انس فتعده خيراً.

الفصل الثاني (٣٣-٥٠)

في حجرة الولائم في القصر الملكي حيث تقام ليلة الطرب. اريحية كليوباترا، ملكة الاسراف واللهو.

اجتمع سراة القوم في قصر الملكة ومنهم: كليوباترا وانطونيو وقوّاد الفريقين وبعض شخصيات بارزة، فتلذذوا برؤية الرقص والراقصات، وسماع الانغام، وتبادلوا عبارات التهاني والتحاب. فانشد المنشدون، وغنّى المغنون، وقام بكشف الغيب العرّافون، وكان يتخلل كل ذلك تسكاب الخمور المعتقة. انقضى الليل الّا اقلّه وكان القوم قد سكروا فهمّوا بالانصراف. فمنهم من خرج شاكراً، ومنهم من خرج غاضباً ناقماً. اما انطونيو فقد غادر الملكة مزوداً بكلامها:

يا ليث سر، يانسر طر، عد ظافراً، او لا تعد

الفصل الثالث (٥١--٨٢)

في معبد بالاسكندرية: في حديقة المعبد وفي حجرة الكاهن ضمن المعبد. فشل انطونيو، فراره، انتحاره.

تصرّمت تلك الليلة الزاهرة، فاصبح انطونيو على معركة كان قد بدأها بالامس وحال الليل دون انجازها. وما ان النصر الذي كان يحالف انطونيو في

اليوم الاول غدا الى جنب اكتافيوس. واقتناعه بهذه الحقيقة هو الذي استحثه الى الفرار من وجه خصمه المتغلب... فرّ ولجأ الى حديقة المعبد في الاسكندرية حيث نعيت له كليوباترا كذباً ، فانتحر بعد ان حاول عبثاً الفرار من الانتحار، وذلك على اثر انتحار صفيّه اوروس.

هذا. وقد انتقل المشهد الى داخل المعبد فرأينا كليوباترا في غرفة الكاهن انوبيس تستعلم عن افاعيه وسمومها ... وانتهت بان ابتاعت منه « رقطاء » يرسل بها اليها في سلّة تين ، اذا ما بات تاج مصر في خطر. وبينا هما على هذه الحال دخل انطونيو الى الهيكل فرأى كليوباترا حية تُرزق ، ومات على اثر جراحه البليغة ، بعد ان ودّع حبيبته وداعاً صادقاً محزناً.

الفصل الرابع (٨٣ ١١٣)

في القصر الملكي ، في غرفة العرش – انتحار كليوباترا ووصيفتيها.

كانت كليوباترا متكئة على شرفة غرفة العرش تناجي نفسها ، وكانت شرميون وهيلانة في تلك الغرفة تبكيان، عندما دخل عليهنّ حابي حاملاً سلالا فيها الافاعي تسترها ثمار التين... فتأهبت الملكة للانتحار، وبعثت تستدعي اياس المغني لينشدها صوتاً قبل الفراق ، فامتثل هذا لامر مليكته. واذا قائد روماني يدخل معرباً للملكة عن مقاصد اكتافيوس من انه سيبقيها على عرشها، وسيظل العرش وراثياً. فاعربت هذه للقائد عن رغبتها في مشاهدة اكتافيوس فراح القائد يستدعيه ... ثم طلبت ان ترى صغارها فتردعهم قبل الانتحار ففعلت ، واستغرقت في مناجاة طويلة محزنة . ثم تناولت الافعى ومدّت لها من صدرها فلدغتها ورمت بها عنها ، فتمثل بها وصيفتاها . . . يدخل ، على اثر هذه الحوادث، الكاهن انوبيس يرافقه حابي. فتضيع حياتهما في نجاة الملكة. الا انهما ينجيان هيلانة وينصرف الثلاثة : انوبيس الى محرابه ليبكي مصر طيلة ايام حياته ، وذلك الى الحقول حيث الصفاء والمنا.... ثم يدخل اكتافيوس موافياً موعد كليوباترا ، فيشهد ما يشهد ، فيودّع كليوباترا ، وينصرف بين صراخ الابواق والخناجر. اما انوبيس فينذر الفاتحين بالشر ويختم الرواية بقوله :

قسماً ، ما فتحتمو مصر ، لكن قد فتحتم بها لرومة قبرا !

كل يوم تتجلى ساعة ، هنا ، كالشمس في عزّ ضحاها ،
تدخل الدار ، فتثني ملكها بلقاء الكتب ، او تنمي هواها

النزهات الخلوية

وكليوباترا هذه كانت تستطيب الاقامة في البراري والحقول وتكثر النزهات اليها . وقد غرست بيدها غير مرّة الاشجار والازهار في حقلها المحبوب بسهول « طيبة »

وقد حنّت الى هيلانة وحابي العيشة القرويّة ، في قصيدة طويلة مطلعها :

ولديّ ، اهجرا القصور ، فاني قد وجدت النعيم فيها غريبا

حياتها العائلية

هذه صور اظهرناها في حياة كليوباترا الخاصة . ولكن لكليوباترا حياة عائلية رسمها شوقي بجلاء في روايته ، واليك تفاصيلها :

كانت كليوباترا ام بنين :

بروحي ، وان لم تبقّ مني بقية ، صغار وراني ذوّق اليتم ، نوّح

منهم قيصرون ، اشارت اليه في قولها لانطونيو :

انت لروما ، في غد ، وقيصرون بعد غد

وابنتان ذكرتهما ايضاً في قولها لوصيفتيها :

واعلما ، بنيّ ، ان البؤس والنعمى ديون (١

اما موقف هذه الام من بنيها فموقف جهاد في سبيلهم ؟ فهي التي تسعى ، وابنها صبيّ بعد ، لترقيه الى عرش روما . وكليوباترا لها حنان الامهات :

أذوب لبلوام ، واعلم انني حملت عليهم ما يجلّ ويفدح

وهي مستعدة ان تضحي بكل نفيس في سبيل سعادتهم الا . . . الشرف :

وقد اشتهي عيش الذليل ، لاجلهم ، فلا المجد يرضى لي ، ولا النبل يسمح

١) وقد اعلمنا التاريخ انه لم يكن لكليوباترا غير هؤلاء : ولد ذكر ، قيصرون رزقته من يوليوس قيصر ، وابنتان كانتا نتيجة علاقاتها بانطونيوس . ولم يذكر شوقي غيرهم ، مجارياً التاريخ في ذلك .

وكليوباترا لا تنسى صغارها في صلاتها :

كاهن الملك ، سلام ! لا عدمنا بركاتك
صلِّ من اجلي ، ولا تنسَ صغاري في صلاتك .

وفي العائلة غير الاولاد. هناك الخدم. فماذا هو موقف الملكة تجاه خدمها ؟
كانَ كليوباترا ليست بالملكة ، وكانّ خدمها ليسوا بالخدم . هذا خير كلام يمكننا ان نظهر فيه ما كانت تبديه هذه من الدماثة واللين تجاه حاشيتها وخدمها اجمعين ، فهي ان عرّجت على مكتبتها حيّت الحاضرين قبل ان تُحيّا :

تحيتي لامناء المكتبه ، وشيخهم ، اعلى الشيوخ مرتبه

واذ يدخل عليهم الكاهن انوبيس ، وهم في المكتبة ، تعاجله بالتحية قبل ان يحيي :

كاهن الملك ، سلام ? لا عدمنا بركاتك !

وهي تتحدث الى امناء المكتبة ووصيفتيها ، كاننا تحدث اقرانهـا فتسرد لهم حوادث الحرب البحرية التي شبت في « اكتيوم » ، وكيفية هربهـا وما سبب ذلك . وكليوباترا لا تجد فارقاً عظيماً بينها وبين خدمها وانما تحسبهم اقرباءها ، اذ تقول لشرميون :

انت لي خادم ، ولكن كأنا في الملمات اهل قربى وصهر
انا الخادم الوفيّ من الاهل ، وادنى ، في حال عسر ويسر

وقد لا تفرق خدمها عن اولادها قولاً وفعلاً . فانظر كيف اعادت حابي الى حظيرة الاخيار ، وكيف اغدقت عليه وعلى زوجه هيلانة خيراتها وانظر كيف تدعو وصيفتيها :

يا خادميّ ، بل ابنتيّ ، تلطفا في البحث حتى تأتيا بأباس

واسمع كيف تخاطب الكاهن انوبيس :

ابي ، انوبيس ، ارجو

فيستعظم هذا ملاطفة الملكة له ويقول :

بل تأمرين مطاعة

هذا . وقد يعود الملكة في قصرها زوّار ، وتحيي لرجالات البلاط والبلاد ليالي حافلة ساهرة ، فكيف تظهر هذه بين الزائرين ؟

كيدة من سراة الاوربيين في عصرنا الحاضر، فهي ان اقامت ليلة طرب كانت أولى المتمتعين بلهوها وطربها، فتشرب نخب من يشرب نخبها:

على حبـك، انطونيو، على الجيش، على مصرا!

تأخذ في طرف كل حديث وتميت الاحاديث التي من شأنها ازعاج جمهور الحاضرين:

اخيل: دعنا من غد ان غداً توهّم!
فلا تكن كداخل على الندامى يلطم
انيتهم منادماً، لم تأتهم لينذموا.
اليوم شربٌ

وقد لاحظ حابي انها قويّة البيان حلوة المحادثة يصعب على سامعها الّا الاقتناع.

اما من حيث الدين فقد رغب صاحب النظرات التحليلية[1] ان يجعل من كليوباترا ملكة متمسكة بدينها. اما نحن فننفي ذلك عنها لان هذه الصفة لا تجد ملاءمةً مع صفاتها الاخريات، وان التدين لا يتفق واتباع اللذات والشهوات، ولان ما يستند اليه الناقد لاثبات ما تقدّم لا يبلغ بنا الى هذه النتيجة. اجل ان كليوباترا تقول لانوبيس:

صلِّ من اجلي، ولا تنسَ صغاري في صلاتك

ولكنها، وهي المحدثة الشهيّة التي تعطي لكل ما يسرّه، حدثت الكاهن عن الصلاة فكان له سروره كما انها كانت بهجة انطونيو في حديث غرامي، والشاعر بولا في حديث عن الشعر.

أما ما ذكره الناقد من قولها:

هذا مقام صلاتي، وهيكلي للضراعه
ولي خطايا كثير، لا تبرح البال ساعه
فادخل، وصلِّ لاجلي فنك ترجى الشفاعه

فصحيح. الّا انها لم تركن الى الصلاة، في تلك الساعة، الّا لانها ضاعت في الخلاص كل حيلها الدنيويّة.

---

١) راجع مصرع كليوباترا، ص ١٢٠

واذاً ليست كليوباترا متمسكة بدينها ، وانما تعود اليه كما يعود مفلس الى دفاتره القديمة ، وذلك عند الحاجة القصوى والاضطرار القوي . . .

الملكة

يبقى ان نتحدث عن الملكة فنظهر ما اقرّه لها شوقي من الصفات لسياسة الملك ، ونبيّن خفايا سياستها .

اما صفات الملكة فجاء معظمها في هذا البيت الذي قالته تجاه تمثال ايزيس :

بنت الحياة انا ، وتشهد سيرتي ما كنت من امي سوى تمثال

فتقرّ لنفسها الصفات التي تقرّها للحياة من رياء وخداع ، من قسوة ولين ، من رشد وغيّ ، الى غير ذلك . وقد اتمّت وصف نفسها بقولها للافعى :

هلمّي عانقي افعى قصور جنا شوق الى افعى التلال

وهي صفات شهد لها حابي اذ قال :

ميلانة ، خليك من ذكرها (١) حديث الافاعي طويل المدى

وزينون في قوله :

عليّ تلوّت الافعى ، فهل لي من الافعى ونكزتها نجاء ؟

كليوباترا بنت الحياة ، وكليوباترا افعى قصور . هذا ما يلفت الانظار الى شخصيتها في الدرجة الاولى ، ولها غير هذه الصفات :

اخصها الصبر والجلد ، والفخر والثقة بالنفس ، والاباء والجرأة . ومن صفاتها الحلم ، من ذلك قولها لحابي :

وكن لننسَ الذي قد مضى ؛ فتلك تاب ، ومثلي عفا

وهي تكره التملّق ، وتسيء الظن بالناس حتى التشاؤم . فتقول مخاطبة الكاهن :

تكلّم ، فليت سموم الارا قم ، في الخبث ، دون سموم البشر

ثم هي وطنية صادقة في حبّها لوطنها :

اموت ، كما حييت ، لعرش مصر ؛ وابذل دونه عرش الجمال

وشهد انوبيس على صحة ذلك :

---

١) الضمير عائد لكليوباترا.

سيقول بعدك كل جيل منصف: ذهبت. ولكن في سبيل التاج (١
تضحي في سبيله بكل شيء. وتظهر كل ما لها من قوة ودهاء. متلاعبة بانطونيو ويوليوس، وذلك قول اكتافيوس:

لعبت بانطونيو ويوليوس حقبة، كما جاء بالمسحور او راح ساحر

وقول انطونيو نفسه:

اخرجت امري واختياري من يدي وتركتني نفساً بغير ملاك

ودليل طموحها ما قاله اكتافيوس في رثائها:

وانت التي نازعت روما مكانها وجرّت بناديك القيود القياصر

هذا ما اطلعنا عليه شوقي من صفات الملكة، اما سياستها فكانت على قسمين: سياسة داخلية تنظر فيها الى شؤون المصريين ومصالح البلاد، واخرى خارجية تدرس فيها مصر ومكانتها بين الدول.

اما فيما خصّ سياستها الداخلية فكانت سياسة اصلاح: شجعت الزراعة في البلاد، وادخلت تحسينات عظيمة على الجيش والاسطول خاصّة. فهي القائلة في مناجاتها للاسكندرية:

وثبّت بزك جدولاً وخميلة، وكسوت بحرك عدّة وشراعا
وانا اللباة، وقد ملأتك غابة، وانا المهاة وقد ملأتك قاعا

وقد رأيناها تغرس الاشجار والازهار.

وكان خير مجلى لسياستها الخارجية بغضها رومة الظاهر في الرواية كلها، بغضاً دفعها الى ان تذلها، وتحمل سيادتها عليها، فاستخدمت لهذه الغاية سحر عينيها حكمته في يوليوس قيصر وانطونيوس ونجحت؛ الا انها لم تبلغ منهما مشتهاها. فرأت اخيراً ان تتبع سياسة التجزؤ فاقامت انطونيوس على اكتافيوس ورأت «شطراً من القوم الروماني في عداوة شطر.» وهكذا، في حسابها، يتمّ ضعف رومة وتتمكن من بسط النفوذ اليها... الا انها ماتت انتحاراً قبل البلوغ الى النتيجة.

هذا في الغرب. اما الشرق فقد كانت فيه المسودة وهي القائلة:

---

١) يفهم من الموقف ان المراد «بالتاج» الوطن... لا الملك.

والشرق سلطاني الذي أكليله لي انعقد

وقال اكتافيوس في ذلك :

وداعاً ، عروس الشرق ، كل ولاية ، وان هزّت الدنيا ، لها الموت آخر

وهكذا . فقد ابدع شوقي في خلق هذه الشخصية وتصويرها ابداعاً لم يتوصل الى اقلّه ، في ما سوى هذه من رواياته التمثيلية .

انطونيوس

لانطونيوس غير مظهر : فهو قائد وجندي : قائد الجيوش ، وجندي الحسان . وقد عرض شوقي هذين المظهرين في اقوال عديدة ، وضعها على شفتيه منها :

كان الملوك عبيدي ، فصرت عبد الحسان

وهذا :

بطل لم تظفر الحرب به ؛ في الهوى ، تحت لواء الحب ، مات

وهذا :

قدت الجحافل والبوارج ، قادراً ؛ ما لي ضعفت ، فقادني جفناك .

كلها اقوال تظهر ان انطونيوس مزيج من القوّة والضعف ؛ قوّة محض في القسم الاول من حياته ، الى ما قبل تعلّقه بكليوباترا ، وضعف محض في القسم الثاني ، بعد ان تعشّق كليوباترا .

بطل لم تظفر الحرب به ! ! هو ، لعمري ، لنعم البطل ! يجمع الناس على تقديره ، من صفيّه اوروس :

رأيتك ، والحرب ، تبلو الكما ة ، فاشهد : كنتَ إله الوغى ،
وقد كان سيفك غول السيو ف ، وكانت قناتك غول القنا
وكنتَ ، اذا الموت افضى اليك ، تحدّيته ، فانثنى القهقرى .

الى جنوده ، الى خصمه اكتافيوس ، الى كليوباترا نفسها ، الى كل من رآه او سمع به . افاضوا كلهم يوصف شجاعته في ابيات يطول بنا ذكرها .

هو انطونيوس القائد ، انطونيوس المجاهد ، فتى رومة الابر وسيفها الباتر .

اما انطونيوس العاشق ، فهو ، قبل كل شيء ، كثير الهيام ، حتى يضعضعه . تشهد على ذلك افعاله العديدة ، المتناقضة وسموّ مركزه الحربي . او ليس كذلك

تركه ساحة القتال ، وهربه ليلا الى كليوباترا ؟

او ليس خضوعاً للغرام ان يفتتر قائد حربي لمخارق خيانتين متواليتين به وبجيوشه ؟ وهل اغراء بالانتحار سوى نبأ انتحار كليوباترا ؟ ؟

وان من صفات هذا المحب الاخلاص . فانطونيوس مخلص بحبه ، وفيه قالت كليوباترا :

اجا الخالص وداً ، ليس ودي بالمشوب ،
اجا الصادق وعداً ، ليس وعدي بالكذوب !

هذا هو المحارب ، وهذا هو المناس. الا ان صفات هذا لا تذكرنا بصفات ذاك . فقد مسخت فيه القوة ضعفاً والشجاعة جبناً . اجل ان انطونيوس العاشق اضعف :

قشعريرة الموت اعترتني ، ولم تكن ، اذا ما اقشعرت تحتي الارض ، تعتري

وهذا الصادق حباً ، المخلص فيه لم يكن يضير حبه ان تخونه حبيبته مرتين متواليتين فتعرّضه وجيوشه للقتل والانكسار .

وقد راح به ضعفه الى انكار جنسيته الرومانية ، فاسمعه يجيب القائد الروماني عن سؤاله هذا :

احقّ مارك انطونيوس من رومية تبرا ؟

انطونيوس :

اجل اتبع مولاتي ، ولا اعصي لها امرا .

اما الجبن ففراره من المعركة البرّية خير دليل عليه ، وقد ذكر هذا الفرار بقوله :

جللت نفسي بعار يبقى بقاء الزمان ،
لما حمت جوادي على الفرار ، ازدراني .

وقد شهد لهذا الضعف ، كما شهد لقوته وشجاعته ، قوم كثير . قال احد قواده :

الا انه ليل له ما وراءه غرامك حيّ فيه ، والمجد ميّت

وقال آخر :

فما المدلّه الكبّير املا لتنصره السيوف ، اذا استُللنا

وثالث :

لو كنت منه قريباً لقلت في اذن حبرا :
حيـاته في يـديه ، ام في يدي كيلوباترا ؟

اكتافيوس

زجرت ؛ فلم أُسمع ؛ فقاتلت مكرهاً ، وفي الحرب ، ان لم تردع السلم ، زاجر

هذا هو اكتافيوس .

محارب عظيم ! الا انه لا يفتش عن الحرب . وانما هو متبع قول القائل : « ان اردت السلم فاعدّ الحرب . »

ان اكتافيوس ، محارباً ، قرين انطونيوس . وقد قال فيه وفي قرينه قولًا ذكرناه ، منه :

ونـأتي القلاع ، فنحتلّهـا ، وان بـدت كالنجوم القلاع
ونركز في السهل ارماح روما ، ونُطلع اعلامـها في اليفـاع

كان يعلم من هو ولا يتأخر في التصريح بذلك كما رأيت وترى في قوله لجندي وقف حيال انطونيوس المنتحر :

تنحّ ، اخا الجند ، مـا انت والميت ؛ لا يقرب الشمس الا شعاع

وقوله :

وكنا نشيد لروما النخـا ر ، ونجني لها النار من كل قاع

وكانت في هذا القائد الروماني رزانة لم يفسدها عليه شيء . انما رأيته لا يركن الى كليوباترا فيقترب بنفسه من انطونيوس ، ليتحقق موته .

الا ان هذا القائد الروماني هو غير « هوراس » كورنيل ، فلم تنزع الوطنية من قلبه كل عاطفة انسانية ، فهو يقول مثلًا :

فمن حقي اليوم ، بـل واجب ، عليّ اقدّسه ان يُذاع :
اقبّل ما قبّل النار منك ، واهتف : انطونيوس ، الوداع !

ويقول :

محا الموت اسباب العـداوة بيننا ؛ فلا الثار ملحاح ، ولا الحقـد ثائر

واليك ما يفيدك ان هذا القائد العظيم لم ينجُ من حيل النساء ومكرهنّ :

آلهة الرومان ماذا ارى؟ امرأة تسخر من قائد
قد ابطلت كيدي، على ضعفها، ولم تزل تسخر بالكائد،

انوبيس

كاهن ورع، جمع بين العلم والدين وكان علمه مقتصراً — فيما يظهر — على علم الحيوان، اذ هو خبير بالافاعي والسموم الناتجة عنها والدرياق لمداواتها. وقال في ذلك:

ابيت جنّ (١ لدرس السموم، ولم اخلُ في علمها من نظر
اداوي بها او بترياقها، مُحبّ الحياة او المنتحر

وقد لُخِّصت حياته في هذين البيتين:

انوبيس سيدتي تأذن في انسحابي؟
الملكة ضاحكة الى الافاعي؟
انوبيس لا الى المحراب

فقد قضى عمره بين افاعيه ... ومحرابه.

وقد ضمّ الى علمه ودينه عاطفة الوطنيّة الصادقة التي تجلّت ببغضه رومة وحبه كليوباترا، امّا بغضه لرومة فظاهر في قوله:

حابي، أحيط القمر بالذئاب، وبي من السخط عليهم ما بي

ويُظهر اعتباره لكليوباترا فيقول:

ما يبتغي قيصر من أسيرة، ان التي اعدّها لزينته
ماتت، ولم تنزل على مشيئته. بورك في النيل وفي عقيلته!

وان الذي يدلنا على ان وطنيته لا تتوقف عند بغض رومة واعتبار كليوباترا قوله:

يمناً بأزيس، احسُّ ابنَ (٢ الملك، ولو في سلال القذر
اذا بات في خطر تاج مصر، سبقت الملك جنّ الخطر

حيث يقدّم منفعة مصر على مصلحة كليوباترا.

---

١) اي بالافاعي.
٢) اي الافاعي

وقوله :

بنتي ، رجوتك للضحيّـة والندا ، فوجدت عندك فوق ما انا راجي
سيقول بعدك كل جيـل منصف : ذهبت ، ولكن في سبيل التاج !

ثمّ أولسنا نرى الوطنيّة الحرّة الصادقة تتدفق من قوله هذا الذي ختم به الرواية :

اكثري ، ايها الذئاب ، عواءً وادعي في البلاد عزّاً وقهرا
قسماً ، ما فتحتم مصر ، لكن قد فتحتم بها لرومة قبرا

حابي

عشق هيلانة . احبّ هيلانة فجاء حبه مقروناً بشيء من الاعتبار . . .
وحابي يبغض الملكة . فهو مثال حيّ للمقرّبين من الملوك والامراء والسلاطين . فهم ، ان لم يغمروا بالهدايا والعطايا ، تذمروا وتشكوا ، وربّما تعدّوا ذلك الى الحقد والنميمة . . . وسرعان ما تنقلب شكواهم الى ابتسامة رضى ، وحقدهم ونميمتهم الى صفاء وثناء ، اذا ما اندت السلطة عليهم . . . هكذا هم المقرّبون من الملوك ، وهكذا هو صاحبنا حابي . فاسمعه يذكر الملكة في حالة تذمّره :

هيلانة ، خلّيك من ذكرها ؛ حديث الافاعي طويل المدى
اترضى ان يكون سرير مصر قوائمه الدعارة والبغاء

واسمعه الآن في حالة ضفائه :

تداركتنا ابنة المالكات به(١) واشرف الناس احساناً ووجدانا
واني اليوم ابكيها واندبها ولا اقيس بها في الطهر انسانا

فاين هذا من ذاك ؟ وقد لاحظت هيلانة هذا الانقلاب فقالت :

حابي ، عرفتَ الخلال الطيبات لها ! وكنت امس اقلّ الناس عرفانا ،

ثمّ الم يكن عند حابي شيء من الدهاء اذ اكتشف خبايا زينون وفضح امره ؟ (ص ٨)

---

١) البستان .

هيلانة وشرميون

وصيفتا كليوباترا . كانتا على جانب عظيم من المحبة والامانة لمليكتهما .
فهذه هيلانة تقول لحابي حبيبها :

فلو كنت وحدك شغلَ الفؤا د لهان البلاء ، وقلّ العنا
ولكن حقوق كليوباطرة

ثم . افليس فيما اشاعته شرميون كذباً عن الانتحار ما يدلّ على هذه المحبة ؟
ـ وانتحارهما ؟؟!!

ونحن نعلم ان كليوباترا قابلت محبة وصيفتيها وامانتهما بكثير من الحنو ،
كما رأينا ، اذ باتت لا تدعوهما الا بابنتيها :

انا المادم الوفي من الاهل وادنى في حال عسر ويسر

او لا تعدُّ مظهراً من مظاهر تلك المعزّة هبة البستان لهيلانة ؟

زينون

امين مكتبة قصر كليوباترا . احبّ الملكة في سرّه . فاضناه حبه ، ولم
يستطع كتمانه . لزينون ما لرجال البلاط من الصفات اهمها اكثار الثناء على اعمال
الملوك والاطناب بمدحهم :

تمنيت رأسين لا واحداً ، اذا مسّت الارض هام الرجال
اطأطئ رأساً لمجد النبو غ ، واخفض رأساً لمجد الجمال

ويجدر ان نلاحظ اننا لم نرَ في افعال الرجل كلها مبرّراً لقول انشو فيه :

اما بنيه عن رأسين رأس فيه وجهان :
فحيناً هو مصري ، وحيناً هو يوناني
وفي مجلس يوليوس وانطونيوس ، روماني
وان لاقى أغا القصر فنوبي وسوداني ؟

اوروس

صفي انطونيوس . فيه لسيده ما في شرميون وهيلانة من المحبة والاخلاص
لمليكتهما . . . وهو ايضاً قد انتحر امام مولاه . وقد اغضبه تقدير مولاه حبه

الثأر عند العرب

وصفته الدينية

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٢

لقد حاولنا، في مقال سبق[1]، ان نحدّد ما كان يكتنف عادة الثار من مظاهر وصفات تُلحقها بالمؤسسات الدينية عند العرب الاقدمين. وها اننا اليوم نعرض لدور النساء، نوادب وشواعر، في تحريض الموتور على الاخذ بثأره؛ منتقلين الى موقف الموتور من واتره عند الاثئار؛ وما كان يقوم به، بعد ادراك الثأر، من اعلان عن عمله ونشر لمأثرته. وقد وصلنا، في كل هذه الابحاث، الى بُعيد الهجرة، وعقلية العرب لم تزل هي هي في ما خصّ شريعة الثأر.

اذا تردّد ابناء القتيل، او اخوته، في القيام بواجب الاثئار - واحياناً كانوا يتردّدون متراجعين امام العقبات والمخاطر العديدة — عند ذاك كانت تنبري النساء، فيرفعن اصواتهنّ، مذكّرات الرجال بالواجب المقدّس، ويذكين في الافئدة المتناسية شعلة الثأر، فتضطرم مثيرةً عصبيّة البدوي، معيدةً، الى وقتٍ ما، حماسته الاولية، دافعةً به الى اقتحام الاهوال في سبيل ثاره. تلك حالة دريد بن الصمّة وريحانة بنت معديكرب، اذ حضّته على القيام بواجبه قائلةً: «يا بنيّ، ان كنت عجزت عن طلب الثار باخيك، فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد.» فانف، وخرج غازياً حتى جاءها بالقاتل فقتله امامها، في

1) «مشرق» هذه السنة، ص ١–٢٠

فنائها[1]. وتلك حالة عمرو بن معديكرب، وقد قتل اخاه رجلٌ من بني مازن. فجاء اهل القاتل ورجوا منه ان يقبل الدية. فهمّ عمرو بذلك، وقال: «احدى يديّ اصابتني.» فبلغ الخبر اختاً لعمرو يقال لها كبشة ... فغضبت. فلما وافى الناس من الموسم قالت شعرًا تعيّر عمرًا:

أأرسل عبدالله، اذ حان يومه، الى قومه: لا تعقلوا لهمُ دمي
ولا تأخذوا منهم افالًا وأبكرًا، واترك في بيت بسعدة مظلم! [2]
ودعْ عنك عمرًا، ان عمرًا مسالمٌ؟ وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم؟
فان انتم لم تقبلوا، واتديتمُ؟ فمشوا بآذان النعام المصلَّم [3]
أيقتل عبدالله سيّد قومه بنو مازنٍ، ان سبّ راعي المخزّم [4]

فانصرف عمرو عن قبول الدية، واغار على بني مازن[5].

وتلك حالة مصعب وجناح ابني عمرو السلولي، عندما قتل ابن الدمينة اخاهما مزاحماً. فسعى قوم في الصلح بين اهل القاتل واهل القتيل لما كان بينهما من صلة النسب، فقالت امه ترثيه وتحضهما على ادراك ثأره:

بأهلي، ومالي، بل بجلّ عشيرتي قتيل بني تيم بغير سلاح [6]
فهلا قتلتم بالسلاح ابن اختكم، فتظهر فيه للشهود جراح!
فلاتطعموا في الصلح، ما دمت حيّةً وما دام حيًّا مصعبٌ وجناح
ألم تعلموا ان الدوائر بيننا تدور، وان الطالبين شحاح [7]

واكثر ما كان يتجلى دور النساء في المآتم. فان الامهات، والاخوات،

---

١) وقد ذكرنا هذه الحادثة في المقال الاول: «مشرق» هذه السنة، ص٥. وراجع: شيخو: شعراء النصرانية، ص ٧٦١؛ الاغاني ٩: ٧

٢) بسعدة: وفي رواية: بصعدة.

٣) وقد ذكر الجاحظ الشطر الاول من هذا البيت:
فان انتم لم تثأروا باخيكمُ

٤) وفي الجاحظ:
جدعتم بعبد الله آنف قومكم، بني مازنٍ، ان سبّ راعي المخزّم

٥) الاغاني ١٤: ٢٤-٢٥؛ الجاحظ: الحيوان ٤: ١٢٧

٦) بغير سلاح: وذلك ان ابن الدمينة كان قد قتله بثوب فيه حصى جمل يضرب به كبده.

٧) الاغاني ١٥: ١٥٢

والزوجات – الّا اذا كانت الزوجة من قبيلة غريبة[١] – وسائر ذوات القربى يبدأن بانشاد المراثي ؛ وفي كل مرثية مكان خاص للتحريض[٢] . يشهد بذلك شعر الخنساء بجمله ، واكثر الشعر الرثائي الجاهلي ، حتى ان البحتري افرد فصلًا من « حماسته » ، هو الفصل العاشر ، « لما قيل في التحريض على القتل بالثأر وتركه قبول الدية » وفصلًا آخر ، هو الفصل الحادي عشر ، « لما قيل في الامتناع عن الصلح »[٣] جمع فيهما عدة مقاطع من شعر الرجال والنساء .

وقد كان من تأثير هذه العادة في الشعر ان المراثي فقدت كثيرًا من قوة الابتكار ، فغدت تدور على محور معروف وتقسيم مقرّر ، فتراجع التعابير نفسها ، على وتيرة واحدة ، بل اضحت كانها نسخ متعدّدة لصورة اصلية واحدة ، كلّما زاد عددها نحل رواؤها ، وضعفت شخصيتها . وهو ما نراه في شعر الخنساء نفسها ، فنأسف لتلك المراجعات المتواترة ، وتخفّف من اعجابنا بشواعر العرب قبل الاسلام . ذلك ان العادات الرثائية كانت تفرض عليهنّ الندب في سبيل التحريض ، كما قدّمنا ، وواجب التحريض كان يفرض المراجعات ، بل الدوران في محيط ضيّق .

ونتيجة ادبية اخرى ادّى اليها واجب التحريض في المراثي ، هي تلك المبالغات الشعرية المضحكة التي كانت تصل اليها الشواعر في ندبهنّ وبكائهنّ . كان عليهنّ ان يدفعن القوم الى الاخذ بثأر القتيل . واذًا فقد كان يجب ان يظهر القتيل بمظهر مَن يستحقّ ان تهتمّ القبيلة جماء باخذ ثأره . وهكذا فقد كان ادنى رعاة الابل خطرًا يتحوّل الى سيد كريم يحمي الارامل ، ويطعم الايتام . وقد شعر العرب انفسهم بما في هذا النوع من مبالغات مضحكة ، واكاذيب تدفع الى الهزء ، فقالوا :

. . . وبعض الباكيات كذوبُ[٤]

---

١) الاغاني ٤ : ١٥١ ؛ ابن سعد : الطبقات ٣ : ٨١
٢) اطلب : Rhodokanaki, *Hansā' und ihre Trauerlieder*, p. 85
٣) البحتري : الحماسة (طبعة شيخو) ص ٢٨ و ٣١
٤) الاصمعيات (Ahlwardt) ١١ : ١٧

وجمعوا النوادر المتنزعة على النوادب. وقد لا يخلو من فائدة ذكر واحدة منها نقلها ابن عساكر منسوبةً الى الاصمعي ، وذلك في ترجمته لاسماء بن خارجة ، قال:

« كان اسماء ، ذات ليلة ، جالساً في منزله ، على سطح ، ومعه نساؤه ، اذ سمع في جوف الليل نادبة تندب ، وهي تقول :

ألا فابكي على السيّد لمّا تمسُّ نيرانُه
ولما بطل المهدُ ولمّا تغل اكفانُه
عظيم القدر والجفنة ما تخمد نيرانُه

فاستوى اسماء جالساً ، وقد اشتدّ جزعه ، وهو يقول : « انا لله وانا اليه راجعون ! يا غلام ، يا غلام » . فاتاه جماعة من غلمانه فوقفوا قريباً منه حيث يسمعون كلامه ، فقال لاحدهم : « انه قد حدث في بعض اشرافنا حدث . فانطلق الى منزل عكرمة بن ربعي التيمي ، فانظر هل طرقهم شيء . ؟ » فذهب الغلام ، ثم عاد ، فقال : « ما طرقهم إلّا خير . » فقال له : « اذهب الى منزل عبدالملك بن عبدالله التيمي ، فانظر هل طرقهم شيء . ؟ » فذهب ، ثم عاد ، فقال : « ما طرقهم الا خير . » ثم لم يزل يبعث الى منازل اشراف الكوفة رجلاً رجلاً ممن يقرب جواره ، فيسأل عنهم ، الى ان قال له بعض جيرانه : « اصلحك الله ! ليس الامر كما تظنّ . » قال : « فما هذه النادبة ؟ » فقالوا : « هذه ابنة فلان البقّال توفي ابوها فهي تندبه . » فقال اسماء : « سبحان الله ! ما رأيت كالليلة قطّ . » ثم اقبل على نسائه فقال : « عزمت على كل واحدة منكنّ ، ان حدث بي حدث ، ان لا تندبني نادبة بعد ليلتي هذه ابداً . » [1]

على ان التحريض نفسه ، بصرف النظر عن موادّ الرثاء من تعظيم قدر المرثي وشمول المصيبة به ، كان يسمو في اكثر الاحيان فوق التقليد والمبالغات ، فيخرج من القلب طبيعياً شخصياً . وذلك ان شعور الامهات والاخوات والزوجات اسهل استثارةً من شعور الاخوة والابناء والآباء ، وادعى الى الاخذ بالخيال والتصور . حتى انهنّ يتناسين ، او ينسين فعلاً ، كل ما يحول دون ادراك الثأر

١) ابن عساكر : تاريخ دمشق (طبعة بدران) ٣ : ٤٥-٤٦

من مخاطر وعقبات ، بل يصبحن مستعدات لقبول مصائب جديدة في سبيل ادراك ثأر قديم. ذلك ان نداء «الدين» ، نداء العاطفة العيلية ، يرفعهنّ حيناً فوق نزعات الحنوّ النساني المتادة . فضلاً عن ان المعيشة القلقة في ذاك القفر المخوف عملت نوعاً على تقوية صبرهنّ تجاه المخاطر الدائمة. حتى اصبحت حياة البدو خاضعة الخضوع التام لشريعة الثأر وما تثيره من واجبات ومشاكل ، وحتى اصبحت مراحل تلك الحياة تُقطع حسب هذا النظام الذي لخّصه دريد ابن الصمّة بقوله :

يُغار علينا ، واترين ، فيُشتفى بنا ؛ إنْ أُصبنا ! او نُغير على وِتر(١

وان لنا في ديوان الخنساء المثال الاعلى لهذا النوع من الشعر الرثائي التحريضي . من الحق ان الشاعرة لم تخترع شيئاً ؛ لان صفة النوع التقليدية الدينية كانت تحول بينها وبين الاختراع فتدفعها الى المراجعات الدائمة والدوران المتتابع، ولكن من الحقّ ايضاً ان الخنساء اظهرت شيئاً من الشخصية حتى ضمن ذاك المجال الضيّق ، فاخذت تردّد عوامل التحريض بعاطفة ، وطول نفس ، وتفنّن، اوصلتها عن جدارة الى اعلى مرتبة بين شواعر العرب. على كونها لم تخلُ من مبالغة في دفع قومها بني سُلَيم الى الاثار لاخويها . فان اخاها صخراً مات في فراشه بعد مرض طويل تخلله على اثر طعنة اصابته . اما معاوية فكان مدفوناً في ليّة ، جنوبي الطائف[٢]. وقد يكون طول المدة ، وبعد القبر ، دفعا السُليميين الى النسيان ، فقامت الخنساء بواجب التذكير والتحريض. والنساء ، في مثل هذا الموقف ، ينسبن الرجال الى الجبن ، والرغبة في الطعام والشراب اذا ما قبلوا الدية ، فينادين بالويل والعار ، حتى يأنف الموتور من بيع فقيده باللبن ، اي من قبول الدية . واذا اصرّ عليه رجال الحيّ ، قال قول مسور بن زياد الحارثي ، وقد عرض عليه سعيد بن العاصي سبع ديات ، فابى وانشد :

يقول رجالٌ ما أُصيب لهم أبٌ ولا من اخٍ : اقبل على المال تُعقَل ! ٣)

١) شيخو : شعراء النصرانية ، ص ٧٥٤

٢) راجع Lammens, *La cité arabe de Ṭâif à la veille de l'hégire*, p. 75, n. 3.

٣) ابو تمام : الحماسة ، ص ١٢٠ ، البيت ٢

وإذا ادرك الموتور هذه الحالة ، بفضل التحريض والتذكير، فانه يترفع عن كل رغبة في المال ، مها كان فقيرًا ، فيأبى نياق الدية مها بلغ عددها من مئات والوف ، ويربأ بقبيلته ان ترضى بالعقل ، لانه

دنسٌ تسودّ منه ثيابها ؛
وانّ ابنَ عمّ المرء خيرٌ من التي تبيت تباوى بالفلاة سقابُها (١

ولا يرضى حتى يذيق الواترين « حدّ السلاح »(٢ فيمكنه ان يردّد مع عبد العزى بن مالك الطائي :

اذا ما طلبنا تبلَنا عند معشرٍ ، أبينا حِلاب الدرّ او نشربَ الدما
وعمّ قتلنا ، بعد ما عرضوا لنا مقاريهم شُمًّا ، وأبنا مزنّما (٣

ويفتخر وليّ الثار بانه لا ينسى قتيله مدى الدهر ، فهو ان « لم ينل ثاره من اليوم او غدٍ ، فالدهر ذو متطول »(٤ . وكثيرًا ما يسمع اسمه تردده « ابنة الجبل » اي الصدى ، على ما في قول سدوس بن ضباب :

اني الى كل أيسارٍ ونادبةٍ أدعو حبيشًا ، كما تُدعى ابنة الجبلِ (٥

هذا شيء مما يردَّد على مسامع الموتور لتحريضه، يردّده النساء خاصة، وقد يردّده الموتور فيحرّض نفسه على قبول واجبات « ولي الدم » . والموتور هو اقرب اقرباء القتيل ، كما قدّمنا ، الا ان يكون هذا قد عيّن وليّ ثاره قبل موته .

فاذا اخذ على عاتقه هذا الواجب المهمّ ، امتنع عليه ان يكلّف غيره القيام به ، او يشركه بذلك . انما يجب عليه ان يضحي بنفسه في سبيل ادراك

١) حماسة البحتري : الرقم ١١٥
٢) حماسة البحتري : الرقم ١١٧
٣) حماسة البحتري : الرقم ١١٢
٤) حماسة ابي تمام ، ص ١١٩
٥) أبو زيد الانصاري : النوادر ، ص ١٢٤ . وقد قال شارحًا : « ان ابنة الجبل هو الصوت الذي يجيبك من الجبال والصحراء . . . يقول : اذا ندبت المرأة ميّتها دعوت لها هذا الرجل ، فيجيبني للاخذ بثأرها كما تجيب ابنة الجبل . »

ثأره . من حقه ان يلجأ الى المعاونين والمساعدين من كبار قبيلته او من غير قبيلته[١] . فيمهدون له سبيل الوصول الى مهمته ، كأن يدلونه على الواتر ، او ينصبون الحبالة فيقع هذا فيها . الا انهم جميعاً يجب ان يختفوا في ساعة الثأر ، فيتأخروا عن صاحبه ، تاركين للوليّ وحده حق القيام بثأره وقتل واتره . وهو حقّ لا يتخلى عنه الموتور لحظةً ، وكثيراً ما سمعناه يطالب به بالحاح ، فيقول قول خالد لرفيقه نافع ، وقد اعانه في ادراك واتره ، فلما رآه صاح بنافع : « اياك ان تعرض له ، فاني اضربه . »[٢] او قول الحصينين : حصين بن زهير بن جذيمة ، وحصين بن اسد بن جذيمة العبسيين لقومهما : « يا بني عبس ، دعونا وثأرنا . » وفي رواية اخرى انهما قالا : « تفوا علينا حتى نعلم علمه (الضمير للواتر) فقد امكننا الله من ثأرنا . » ولم يريدا ان يشركهما فيه احد[٣] .

وهنالك واجبات شبه طقسية على الموتور ان يحافظ عليها اثناء قيامه بالثأر . من ذلك ان يصيح بواتره ، في هجومه عليه ، او قبل ان يضربه الضربة القاضية ، فيذكر سبب عمله ، ويذكر القاتل باسم القتيل ، صارخاً : « يا لثارات فلان ! »[٤] في هذه الدقيقة الرهيبة يخرج البدوي من التخفي والتستر ، وقد جاز له ان يلجأ اليهما حتى هذه الآونة ، فيبدو ديّاناً وحاكماً ومنفذاً ؛ فلا بدّ ، والحالة هذه ، ان يسمع المحكوم عليه حيثيات الحكم من فم قاتله !

وقد تجاوزت هذه العادة في ذكر « الثارات » العصر الجاهلي الى صدر الاسلام ، فكانت كلمة التوحيد بين افراد العثمانية ، ينادون بها في مطالبتهم

---

١) الاغاني ١٠ : ١٢

٢) الاغاني ١٠ : ١٢ ، السطر ١٤

٣) الاغاني ١٠ : ٩ و١١ ؛ ابن دريد : الاشتقاق ص١٨٥ – وراجع قصة قيس بن الخطيم التي نشرناها في القسم الاول من هذا المقال : « مشرق » السنة الحالية ، ص ١٠

٤) راجع الامثلة العديدة على هذا في الدينوري : الاخبار الطوال (طبعة Guirgass) ، ص ٣٠٢ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤١٦ ؛ الاغاني ١٢ : ٧٢ (وفيها مثل مضحك) ، ١٧ : ١٦٤ ؛ ديوان حسان بن ثابت ٢٠ : ٤ ؛ ابن دريد : الكتاب المذكور ، ص ١٨٥ ؛ رحلة ابن بطوطة (طبعة مصر) ١ : ٧٢ ؛ Lammens, *Yazîd*... p. 168

وقد استغرب الاب دي كوبيه ، مترجم ديوان الخنساء الى الفرنسوية ، هذا المدح الرفيع « لحادثة اغتيال متصفة بالجبن » . وزاد « انـه يدلنا ، اكثر من اي وثيقة ، على ما وقر في نفوس البدو من حقهم المزعوم بالثأر . وان مقتل العدو كان لديهم من المآتي الرفيعة . »[٢] على ان هذا الشرح لم يصب كبـد الحقيقة تماماً ، لانه اهمل معنى الثار الخاصّ عند البدو . قد يمكن ان نسمّي الثأر «حقّاً» في جماعاتنا المنظّمة ؛ اما في البيئة البدوية اذ ذاك ، فكان واجباً مقدساً ، كما قدّمنا . وعليه فلم يكن العرب ليتوقفوا في الحكم على شرعيـة الوسائط المستعملة للقيام بهذا الواجب المحتّم ؛ واذاً فقد كانوا ابعد من ان يعتبروا صفة القتل ، كما في حادثة الجُشمي ، هل هو من المآتي الرفيعة ام لا ؟

وما رأي معاصرينا في عمل مِقْيَس الكناني الذي يفوق عمل الجُشمي غدرًا وخيانة ؛ حتى اننا لا نكاد نجد في مفرداتنا العصرية كلمة شديدة الوقع نصم بها هذا العمل الشائن . وتفصيل ذلـك انه كان لمقيس اخ اسمه هاشم اسلم وشهد غزوة المريسيع مع النبي . فاتفق ان قتله رجل من الانصار خطأً ، وهو يظنه مشركاً . فقدم مِقيس على النبي ، فقضى له بالدية . فقبلهـا ، واسلم ، دالّاً بذلك انه عدل عن طلب ثأره ، حتى اذا صادف واتره مطمئناً هجم عليـه وقتله . وهرب مرتدّاً عن الاسلام ، مفتخرًا بعمله :

شفى النفسَ أن قد بات بالقاع مسنَدًا ، يضرّج ثوبيه دماء الاخادعِ
ثأرتُ بـه قهرًا ، وحمّلت عقلَه سراة بني النجّار ارباب َ فارعِ
حللتُ بـه وِتري ، وادركت ثُؤرتي ؛ وكنت عن الاسلام اوّلَ راجعِ [١]

هذا عمل مِقيس . اما اليوم فليس من شكّ في خيانته وغدره ؛ واما في ذاك العصر فلم يلمه احد ، اذا استثنينا المجتمع الاسلامي في المـدينة الذي نظر خاصّةً الى ارتداد الخائن عن الاسلام . بل ان قومه عرفوا له تلـك الجرأة في الاخذ بالثأر ، والقيام بالواجب المقدس ، حتى انه عندما قتله احد بني قومه المدعوّ نُميلة ، مال الرأي العام الى تقريع نُميلة دالًّا على ان المجرم في نظره ، ليس مقيس

٢) *Le divan d'al-Ḫansā'*, traduit par De Coppier, p. 175

١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤١ ، وراجع القسم الاول من مقالنا ، ص ٢٢

الخائن الغادر ، بل نُميلة الذي « اخزى رهطه » ، على قول اخت مِقْيَس :

لعمري ! لقد اخزى نُميلة رهطَه وفجّع اضياف الشتاء بمِقْيَس
فلله عينا من رأى مثل مِقْيَس ، اذا النُفَساء اصبحت لم تُخرَّس (١

واذاً فان الخيانة وما اليها ، اذا كانت من مقدّمات الثأر ، ليست بالخلّة المذمومة في نظر البدو . بل انهم كانوا يعتبرون الخداع من معدّات الحرب فيقولون : « الحرب خدعة » . ويتكلون على السرعة اتكالهم على المقدرة ، فيذكرون في صفات الجواد الحسنة سرعته في ادراك الثأر (٢ .

خيانة ، وغدر ، واسراع في الهجوم وفي الفرار ، مع جميع انواع التخفّي والتستّر ، من انكار الاسم ، والانتماء الى غير القبيلة ، وصبغ الناصية ، وتسويد غُرّة الفرس ، والتظاهر بالنسيان ، والصبر للفرصة مدة طويلة . كلها اساليب يلجأ اليها الموتور ، فينيم حذر الواتر ، ويسهّل على نفسه القيام بفرائض الثأر . على ان هناك من الابطال الفُتّاك مَن لم يكن يرضى بهذه الطرق المائلة الى الجبن . فكانوا ، كالحرث بن ظالم المرّي ، يتهدّدون اعداءهم علانيةً ، وينبّهونهم الى قرب يوم الثأر :

تعلّم ، ابيت اللعن ، اني فاتكٌ من اليوم ، او من بعده ، بابن جعفر
أخالد ، قد نبّهتني غيرَ نائمٍ ، فلا تأمنَنْ فتكي ، يد الدهر ، واحذر (٣

ولكنّ ستار التخفي ، ايًّا كانت صفة الموتور ، يجب ان يسقط اثناء ضرب الواتر ، كما قدّمنا . عند ذاك يخرج الوليّ من تستّره ، فيُعلن اسمه واسم القتيل الذي يثأر به ، ويشير الى نسبه منه ، ان شاء ، ويذكر اسم الواتر الذي يقتله ، على نحو ما سبق لنا فاشرنا اليه . وهو لا يكتفي بكل هذا ، بل يعمل على اعلان عمله بالشعر ، ونشره مع الركبان في انحاء البلاد العربية . وكانه يعوّض عما بدا منه من مظاهر التخفّي سابقاً ، فينادي الآن باسمه ، فعلَ خُفاف بن

---

١) ابن هشام : السيرة ، ص ٧٢٨ .
٢) ابن قتيبة : كتاب العرب (طبعة كرد علي في « رسائل البلغاء ») ص ٢٧٣ ؛ الاغاني ٤ : ١٥١
٣) الاغاني ١٠ : ١٨

ندبة اذ قتل مالك بن حمار الشمخي :

اقول له ، والرمح يأطر متنُه : تأمّل خُفافًا ، انني انا ذلكا ! (١

او فعلَ علقمة بن سباع حين قتل عمرو بن الجعيد :

قلت له : خذها فاني امرؤ . . . . (٢

ويستشهد الناس على فعلته :

الا سائل النعمان ، ان كنت سائلا وحيَّ كلاب : هل فتكتُ بخالدِ ! (٣

ويتبسَّط في ذكر الحادثة ، واصفاً المكان والزمان ، كما في ابيات خُفاف المتقدم مطلعها :

وقفتُ له علوي ، وقد نام صحبتي لابني مجدًا ، او لاثأر هالكا ،
لدنْ ذرّ قرن الشمس ، حين رأيتهم سراعًا على خيل تؤمّ المسالكا.
تيمّمت كبشَ القوم ، حين عرفتُه ، وجانبت شبّانَ الرجال الصعالكا ؛
فجادت له يُمنى يديَّ بطعنةٍ كست متنه من اسود اللون حالكا .
انا الفارس الحامي الحقيقة ، والـذي به ادرك الابطال قدماً كذلكا !

وقد يصف عاطفته المضطربة بين الخوف والشجاعة، بين الاقدام والاحجام، بين حب الحياة والقيام بالواجب ، عندما يرى واتره القويّ فيظنّ انه ليس بكفوء له ، ولكنه يشجع نفسه ويُقدم . وذلك قول مكرز بن حفص بن الاخيف القُرشي وقد ثأر لاخيه الاصغر من سيد بني بكر ، عامر بن يزيد :

لما رأيت انه هو عامرٌ ، تذكّرت اشلاء الحبيب الملحَّبِ
وقلت لنفسي : انه هو عامرٌ ، فلا ترهبيه ، وانظري ايّ مركبِ !
وأيقنتُ اني ان اجلّلْـهُ ضربةً ، متى ما أُصبه بالفُرافر يعطبِ
حفظتُ له جأشي ، وألقيت كلكلي على بطلٍ شاكي السلاح مجرَّبِ
ولم اكُ ، لما التفَّ رُوعي وروعُه ، عصارةَ هُجنٍ من نساء ومن أبِ
حللتُ به وتري ، ولم أنسَ ذحلَه ، اذا ما تناسى ذحلَه كلُّ غيهبِ !

---

١) ابن دريد . الاشتقاق ، ص ١٨٨ ؛ الاغاني ١٣ : ١٤٣

٢) الاغاني ١٥ : ٧٦

٣) للخرث بن ظالم، بعد ان قتل خالد بن جعفر ، الاغاني ١٠ : ١٩

٤) ابن هشام : السيرة ، ص ٤٢٢ – الغيهب : الذي لا عقل له .

وهو حريص على ابلاغ الناس انه قام بواجبه في رائعة النهار :

ولم اقتلكم سرًّا، ولكن علانيةً، وقد سطع الغبارُ (١

او في الصباح :

نحن الذين صبّحوا صباحا يوم النُخيل غارة مِلحاحا
نحن قتلنا الملك الجحجاحا، ولم ندع لسارح مراحا،
الا ديارًا او دمًا مُفاحا. نحن بنو خويلدٍ صراحا
لا كذب اليوم ولا مزاحا !(٢

لا كذب ولا مزاح ! بل هي الحقيقة يهم الوليّ الثائر ان يعلنها كما هي، دون تعمية ولا اسرار، وقد خرج من طور التخفّي، فاخذ يخاطب الركبان ويكلّفهم نشر عمله بين الناس، وطريقة النشر الوحيدة، اذ ذاك، هي الشعر:

يا راكبًا، إمّا عرضتَ فبلّغن ابا غالبٍ ان قد ثأرنا بغالب ! (٣

الا أبلغ بني المشراء عني علانيةً، وما يُغني السِرارُ:
قتلتُ سراتكم، وحسلت منكم حسيلاً مثل ما حسل الوبارُ (٤

وقد نخطئ اذا نسبنا غاية البدويّ في نشر قيامه بثأره الى الفخر المعتاد بين العرب، او الى عاطفة الحقد والرغبة في اهراق الدماء. انما غايته الحقيقية ان يُطلع القوم على قيامه بالواجب الديني. هي عاطفة الاطمئنان، وراحة الضمير بالخروج من الاثم، تدفعه الى نشر عمله المبرور :

من مبلغ ابناء مذحج انني ثأرتُ بخالي؛ ثم لم اتأثّم (٥

هي الغبطة بقيامه بالوصية، « بولاية الاشياخ » :

ثأرت عديًّا والخطيم، فلم أُضعْ ولاية اشياخ جُعلت ازاءها
ضربت بذي الزِرّين ربقة مالكٍ فابتُ بنفسٍ قد اصبت شفاءها (٦

---

١) البيت لحذيفة بن بدر الفزاري ؛ الاغاني ١٦ : ٣٢

٢) الابيات لابي حرب بن الاعلم العُقيلي ؛ ابو زيد: النوادر، ص٤٧

٣) دريد بن الصمّة ؛ الاصمعيات ١:٨ – وكثيرًا ما يتردّد هذا التعبير في شعر الثأر ؛ اطلب ديوان اوس بن حجر ٣٠:١ ؛ المفضليات ص٥٤٢ الخ...

٤) شدّاد بن معاوية العبسي: الاغاني ١٦ : ٣٢

٥) عدي بن حاتم ؛ حماسة البحتري: رقم ١٥١

٦) ديوان قيس بن الخطيم ١ : ٤–٥

هي ذكرى الفقيد، والامل بان ادراك الثأر يسهل عليه الاقامة في ذاك «البيت المظلم»، فيسكن صداه، وقد ارتوى ظمأه. كل ذلك يحمله على اعلان عمله، وان تعرّض بدوره لثأر جديد.

ثم من شروط الثأر الّا يستفيد الوليّ الثائر فائدة مادية، فلا يسلب قتيله، ولا يأخذ راحلته. وهذا دليل جديد على صفة الثأر الدينية. وان هذا القيد لمن اصعب القيود على البدوي الذي لا يتراجع عادةً عن السلب والذي كثيرًا ما يشتهي ان يكون له فرس خصمه! فاذا قام بالثأر، كما يجب، وسواء اقتل القاتل نفسه ام غيره من قبيلته او من دينه[1]، ام قتل عشرة بدل الواحد، ام مائة، كما يقول بعضهم، «فلا لوم عليه ولا عذل»[2].

وسواء اكان القتلى من عامة الشعب ام من الملوك:

الا تستحي منا ملوك، وتتقي محارمنا؟ لا يَبُوءُ الدمُ بالدم!
نعاطي الملوكَ السلم، ما قصدوا بنا؛ وليس علينا قتلُهم بمحرَّمِ!(٣

ويجدر بنا ان نلاحظ ذاك الاهتمام الذي يبديه جميع الثائرين. بذكر قدامة عملهم وانه فوق التأثم واللوم والعذل، يريح الضمير ويشفي النفس. هم يفتخرون بذلك وحقّ لهم الفخر! لان اخذ الثأر اصعب المظاهر الدينية القديمة تنفيذًا، واعظمها خطرًا على القائم به، واقربها الى التجرّد والاخلاص. وان تكن

---

١) في الاغاني ١٢: ١٢٤ ان رجلًا اتى حصين بن الحمام السهمي فقال له: «ان جارك حصينًا اليهودي قد قتله ابو جوشن، جار بني صرمة». فقال حصين: «فاقتلوا اليهودي الذي في جوار بني صرمة». فاتوا جهينة بن ابي حمل فقتلوه. فشدَّ بنو صرمة على ثلاثة من حميس بن عامر، جيران بني سهم، فقتلوهم. فقال حصين: «اقتلوا من جيرانهم بني سلامان ثلاثة نفر.» ففعلوا.

٢) حماسة البحتري: الرقم ١٠٥٤

٣) جابر بن حُنَيّ التغلبي في المفضليات (Thorbecke) ص ٥١: ١٨-١٩

— ولا يخفى ما في قوله: «لا يبوء الدم بالدم» من ايجاز غامض، صعب الشرح والتأويل. أأراد ان يقول ان الدم لا يمحو الدم وان القتل لا يشفي من القتل؟ أم شاء الاشارة الى ان الثأر يدعو الى ثأر جديد، وهكذا الى ما لا نهاية له؟ ام رأى، في عنجهيته البدوية، ان ليس دمٌ يصلح كفوءًا لدم قتيله؟

العواذل والنوادب قد اكثرن من اللوم والتحريض، بسبب الاهمال او التناسي، فها ان الثائر الآن، وقد اخذ بثأره «وغسل عاره» يرد على اولئك اللائمات، عالي الصوت، مرتفع الجبين. ويجب الا ننسب كل ما يقوله الى مفاعيل الافتخار. قد لا نصدقه في تعداده القتلى وفي كل ما تمده به مخيلته من وصف المخاطر والصعوبات. ولكن من الصعب الا يؤخذ المطالع بذاك الاخلاص، عندما يتنفّس البدوي الصعداء، كانه، بادراك ثأره، وضع عن عاتقه حملاً باهظاً، بل «شفى نفسه» كما يقول. هي عاطفة الخاطئ كفر عن اثمه، وهتاف المؤمن اتى بعمل صالح. يشترك في ذلك النصارى كعدي بن حاتم، والمشركون كقيس بن الخطيم؛ فيملأون القفر شعراً. وكثيراً ما يكون ادراك الثار سبباً لظهور شاعريتهم.

***

قادنا ذكر بعض الحوادث الى تجاوز العصر الجاهلي حتى اوائل العصر الاسلامي، فكان من المفيد ان نعرف موقف نبي الدين الجديد من تلك الشريعة القديمة. لم يتردد محمد في اقرار اصلها الديني، فذكرها بين الاحكام المدونة في «الكتاب»، اي في الوحي القديم. ولم يرَ لنفسه الحق في حذفها. على انه، لما كان ارقى من عامة معاصريه عاطفةً، واوسع فهماً ومداركاً، حاول ان يخفف من وطأة الثار في الحياة العملية. تتحقق ذلك في القرآن، اذ يجعل القصاص «مكتوباً» على المسلمين، اي موجوداً في الوحي منذ القدم: «كُتب عليكم القصاص: الحرّ بالحرّ، والعبد بالعبد، والانثى بالانثى.»[1] وهو لا يختلف، في هذه اللهجة، عن الشعراء الجاهليين. واذا رضي عن القتل بالدية — وهذه من مؤسسات اسماعيل الجدّ الاعلى، كما ينتج من التقليد[2] — فهو يُظهر هذا التجديد، لا مظهر شريعة تحلّ محل الشريعة السابقة، بل مظهر «تخفيف» لها، و«رحمة» من الله: «ذلك تخفيف من ربكم ورحمة»[3] ولا يخفى ان هذا الموقف تقريرٌ بيّن للعقيدة البدوية القديمة في شريعة «القوَد»، وما يلحق

١) القرآن ٢ [البقرة] ١٧٣

٢) ابن قتيبة: كتاب العرب، ص ٢٩١

٣) القرآن ٢ [البقرة] ١٧٤

شذرات

اغناطيوس غويدي ، المستشرق الايطالي الكبير ١٨٤٤ — ١٩٣٥

في ١٨ نيسان من هذا العام ، يوم خميس الاسرار ، نعت الصحافة فقيد العلم والفضيلة وشيخ المستشرقين اغناطيوس غويدي ، صاحب المؤلفات والنشرات العديدة المختصة بالعلوم واللغات الشرقية ، لاسيما العربية والسريانية والحبشية . مات في السنة التسعين من عمره بعد ان قضى حياةً بارّةً مزدانة بالاعمال الحميدة ، العائدة بالفخر على آله وبلاده وعلى المسيحية جمعاء .

وُلد في رومة من أسرة عريقة بالنسب اشتهر رجالها بخدمتهم البلاد والكنيسة والعلوم . عُهد اليه بتعليم اللغة العربية واللغات السامية المتقابلة في جامعة رومة ، ومنذ ١٨٨٥ ، أُقيم معلّم تاريخ الحبشة ولغتها ، الى ان بلغ عمر التقاعد ، فاقيل من منصبه ١٩١٩ ، وكان قد تعيّن عضواً في مجلس الشورى ١٩١٤ .

وصفت الصحافة الايطالية معارف هذا الرجل واعماله فادهشت[1] . اتقن اللغة العبرية القديمة والحديثة ، واللغة الكلدانية ، والآرامية ، واللغة العربية الشمالية ، والجنوبية المسماة « حِميَرية » ، والفارسية ، والتركية ، فيا لها من علاقات مع اللغات السامية ، والنبطية ، والارمنية ، والاشورية ، والبابلية ، والحبشية القديمة والحديثة . واضاف الى ذلك ثقافة واسعة في علم التاريخ والجغرافية وقراءة الآثار والنقود . وكتب باللغات الاوربية : الالمانية ، والافرنسية ، والانكليزية ، واللاتينية ، فضلاً عن الايطالية لغته . وقرأ الروسية ، والهولندية ، وغيرها من اللغات الحديثة . اما اليونانية فعرفها معرفة مكّنته من تلاوة الشعر التمثيلي القديم استظهاراً ، وهو في آخر ايامه .

فلا اقل من ان ننحني لذكرى هذا الرجل الكبير ، ومن ان نسرد لائحة اهم مؤلفاته التي خدم بها البشرية عامة ، وشرقنا خاصة ، فنفيه حقه باعجابنا

[1] Giuseppe Gabrieli, *Ignazio Guidi : il Nestor degli Orientalisti d'Italia.* *Il Giornal d'Italia*, 21 aprile XIII.

وشكرنا، ونؤدي لتاريخ الثقافة الشرقية صحيفةً سطرتها حياته الطويلة الخصيبة.

***

خص جورجي دلّا ڤيدا الفقيد الكريم بمقال نشرته مجلة « الاورينته مودرنو »(١)، ونظر فيه الى النواحي الثلاث التي ظهر فيها اجتهاد غويدي وهي الآداب العربية الاسلامية، والآداب المسيحية الشرقية، واللغة والتاريخ والآداب الحبشية، ومنه ملخص كلامنا في الناحيتين الاولين.

١ الآداب العربية الاسلامية

حصّل غويدي اللغة العربية تحصيلاً علمياً كما يحصّله الافرنج، وذلك في درس الغراماطيق بالمقابلة بين زمانه الحاضر والغابر، وتضلّع من العربية الفصحى والعامية، باتصاله برجال الاكليروس الماروني، المقيمين في رومة، واخصهم الاباتي جبرائيل القرداحي صديقه الحميم.

قبض غويدي على ناصية العربية بيد مكّنته من التحرير نثراً ونظماً فصارت له آلةً استعان بها في التفتيش عن النصوص القديمة وقراءتها وتفسيرها وطبعها، فبرز فارساً في ميدان النشر العلمي لم يسبقه مسابق، واول ما اتاه شاهداً على مقدرته في الشرح والتعليق كتاب « كليلة ودمنة »، اكتشفه في جزء من كتاب ايطالي فنشره، ثم نشر قصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد » لشارحها جمال الدين بن هشام، ثم كتاب « الاستدراك » لابي بكر الزبيدي، وكتاب « الفعل » لابن القوطيّة، وهي نصوص قديمة صعبة الجأته الى مراجعات تاريخية وادبية عديدة ليتمكن من ضبطها وتفسيرها والتعليق عليها.

ولم يكتفِ غويدي باتقان العربية بذاتها، بل درس علاقاتها باليونانية في المقال الذي وضعه مقابلاً بين تاريخ العربية وتاريخ اللاتينية.

هذه المطبوعات وغيرها هيأته للقيام بمشروع خطير، هو نشر تاريخ الطبري في جزءه المختص بالامويين في ٧٦٠ صفحة مكتظة بالوثائق القديمة الراقية الى القرن الاول والثاني للهجرة. ما اطيب لغتها وما اصعبها! اما غويدي

(١ Giorgio Levi Della Vida, *l'Opera orientalistica di Ignazio Guidi*; Oriente Moderno, Maggio 1935, p. 236 sqq.

فقد قوي على تذليل عقباتها واتى نشره خيرة ما نُشر من تاريخ الطبري الضخم.
لم يتمكن غويدي من القيام بتلك الاعمال الا بالمطالعات الواسعة ، وهـذه كانت في كتب لم تنشر النشر العلمي المقرّب موادها الى القراء ، فشتر عن ساعد الجدّ ، واخذ يعالج الشعر القديم ، فوضع فهارس اشعار خزانة الادب ، وشرح شواهد الالفية ، وقام بوضع فهارس الاغاني الكبير ساعده بعضهم عليه، لكن كتابته كلها بيده ، وهو آية من آيات الصبر والجلد على العمل. ووضع غويدي فهرساً ثانياً للقوافي استغله من مطالعة ٤٠٠٠ صفحة من الاغاني.

وخدم العربية بوضعه لوائح المخطوطات الموجودة في بعض خزائن الكتب في ايطالية وبلغ به البحث الى التنقيش عن تاريخ مدينة رومة ، مسقط رأسه ، اخذاً عن وصفها في النص السرياني من التاريخ المنسوب الى زكريا البليغ . فميز بين ما وصل الينا عنها من الاخبار الصادقة ومن الاساطير ، فتعقب اثرها وبحث عن مصادرها بالعربية وعن كيفية بلوغها الينا. والقى في الجامعة المصرية محاضرات نشرت من ثم باسمه ، فكان مع غولدسيهر منبهاً الى درس المدنية العربية في نواحيها اللغوية والادبية والتاريخية والجغرافية.

لم يصرف غويدي همة الى الدروس الاسلامية شأنه الى الدروس المسيحية. ومع ذلك فقد قام بترجمة « المختصر في الفقه المالكي » لخليل بن اسحاق ، وعلّق عليه. وله في هذا الصنف مقالات.

وفي سنة ١٩٠٩ القى بالافرنسية اربع محاضرات على الجزيرة العربية في عهد الجاهلية ، وعلى تأثير السريان واليهود في تكوين البيئة التي نشأ فيها الاسلام. وكانت تلك المحاضرات وحياً لمن اتخذ مواضيعها فيما بعد مادة توسع بها.

٢ الآداب المسيحية الشرقية

للمسيحيّة في الشرق حياة فكرية تختلف مع اختـلاف البلاد واللغات ، وهي مع ذلك موجدة بالمشاكل او الدروس التي تشغلها اعني بهـا المجادلات اللاهوتيـة ، وتاريخ الانشقاقات ، وتعاقب رجال الاكليروس في المنـاصب الكنائسية . وان هذه الحياة الفكرية لها مقامها في تاريخ المسيحية العام ، ولا بدّ من الاهتمام بها . على ان معالجتها تضطر الى معرفة لغات عديدة تمكن من

الالمام بالمواضيع من سائر وجوهها ، وان معارف غويدي الواسعة وتضلّعه من اللغات الشرقية اهّلته ليكون خير عامل في ذلك الحقل الواسع . فجاء اسمه في سلسلة المؤلفين العظام الذين ساروا وبيدهم مصباح العلم فبنوروا الظلمات . لقد يضيق بنا المقام في سرد لائحة النصوص العربية والسريانية والقبطية والحبشية التي نشرها في الشؤون المسيحية ، وحسبنا ان نذكر « قصة اصحاب الكهف » الشهيرة، فقد طالع غويدي نصوصها في مختلف اللغات وقابل بينها وكشف اصلها. ونشر رسالة سمعان اسقف بيت ارشم على « الشهداء المسيحيين في جنوبي الجزيرة العربية » وساعد على تاريخ المونوفيسية في تعريف رسالة فيلكسين المنبجي. وكتب في دخول التعليم اليوناني في سورية، اخذًا عن «دستور مدرسة نصيبين»، وكشف القناع عن نصوص باللغة القبطية ، تشهد له بطول الباع في تلك اللغة ايضاً . ومما استغله في ذلك الحقل الآثار الشرقية المسيحية كاعمال الشهيد يهوذا القورشي اسقف اورشليم .

اضف الى ذلك ابحاثه التاريخية الادبية ، ومنها درسه ترجمة الانجيل من الحبشية الى العربية ، فتح به للدارسين باباً جديدًا دخل منه غيره واتسع من ثم نطاق الدروس الكنائسية الشرقية . ومن آثاره المقال في اعمال الرسل المكذوبة في نصوصها العربية والقبطية والحبشية ، والمقال في قانون الكنيسة القبطية ، ومقالات عديدة ورسائل في مواضيع واسعة من مؤلفات الآباء ، وسير القديسين ، واصول الليتورجيات . وادى مساعدته في نشر اعمال الشهداء بمجلداتها السبعة ، وفي نشر مجموعة مؤلفات الكتبة المسيحيين الشرقيين وغير ذلك .

***

هذا وصف وجيز لحياة طويلة نال فيها صاحبها من مواهب الرحمان وزنات عديدة تاجر بها وكان من الرابحين . لقد ذاع صيته بين علماء الخافقين ، فاشتهر بنبوغه وتواضعه ووداعته ، وصار قدوة لحملة الاقلام المجاهدين في سبيل العلم والحق .

الاب فردينان توتل اليسوعي

مطبوعات شرقية جديدة

Fr. X. Kortleitner, o. p., **Sacrae litterae doceantne creationem universi ex nihilo.** [*Commentationes biblicae* IX]. 76 pp. Innsbruck (Autriche) Feliz Rauch. Prix : 2 M.

في شرح التعبير : « الخلق من العدم »

هذه الحلقة التاسعة من سلسلة شروح الكتاب المقدّس ، خصها المؤلف بتفسير « الخلق من العدَم » . ما معنى هذا التعبير ؟ وما هي النصوص في العهد القديم وفي العهد الجديد التي تستعمله وتبرهن عليه ! ومَن هم الذين يتقدونه او ينكرون صحته ؟ كلّها اسئلة عرضها المؤلف واجاب عنها بما عرف به من دقة العلم وسعة الاطلاع ، مضيفاً بذلك خدمةً جديدة الى ما اداه من خدم قيّمة في سبيل افادة الناشئات الاكليريكية في العالم . وقد كتب الكتاب باللغة اللاتينية تسهيلًا لانتشاره . وختمه بجدولين : الاول جمع النصوص الكتابية المذكورة ، والثاني ضمّ اسماء الاعلام والاشياء الواردة في الكتاب. ج . ل .

L'œuvre exégétique et historique du R. P. Lagrange. [*Cahiers de la Nouvelle Journée*, N° 28]. In-8°, 232 pp. Paris, Bloud et Gay. Prix : 20 fr.

اثر الاب لاگرانج في شرح الكتاب المقدّس وفي التاريخ

لقد اجتمع ستة من كبار الشخصيات في العلوم الكتابية ، ومنهم الكردينال ليينار ، على اخراج هذا الكتاب ذاكرين فيه رأيهم في ما خلّفه الاب لاگرانج من دروس دقيقة نفيسة في شرح الكتاب المقدّس وفي التاريخ . فكان عملهم عمل النقدة العلماء الذين لا يُعدون التقريظ الا مستنداً الى البرهان . كان الاب لاگرانج من كبار اعلام العصر في الشؤون المذكورة ، فأسس « المدرسة الكتابية » ، ثم « المجلة الكتابية » ، ثم « مجموعة الدروس الكتابية » . نوفّر من ثم لدارسيه مادّة واسعة بحثوا فيها ، على الاقسام التالية : العهد القديم والنزعة السامية ؛ العهد الجديد واصول النصرانية ؛ الاب لاگرانج

عالماً باليونانية ؛ تاريخ الاديان بالمقابلة والدين الموحى به ؛ تأثير الاب لاكرانج.
ولا شكّ في ان مطالع الكتاب يتحقق سموّ الاب في عالم العلم وتتابع جهوده،
فيشترك مع المؤلفين في الاعجاب به وتكريمه.

Carbone, Circulus philosophicus sen objectionum cumulata collectio juxta methodum scolasticam. Vol. I, Logica. In-8°, VIII - 532 pp. Torino, Casa editrice Marietti. Lir. ital. 15.

في الاعتراضات الجدلية

يرى طلّاب المعاهد الفلسفية، في هذا الكتاب، مجموعة من الاعتراضات المنطقية التي يتداولها الطلّاب فيناظرون بها بعضهم بعضاً، ويتمرّنون على الجدل مقلّبين الموضوع على مختلف وجوهه. واذًا فهو يفيدهم الفائدة الجمّة. وقد رتّب المؤلف هذه الاعتراضات باسلوب سهل مبتدئاً بتقدمة في العمل الجدلي والمناظرات التمرينية وفوائدها، منتقلًا الى درس ٣٢ فرضية تتناول المنطق بكل فروعه من جدل، ونقد، واسلوب علمي. ج. ل.

L'Abbé C. de Clercq, Les Eglises unies d'Orient. [*Bibliothèque Catholique des Sciences religieuses*]. In-12, 160 pp.

كنائس الشرق المتّحدة

يعرض المؤلف في هذا الكتاب، وهو اشبه بجدول موجز ولكنه دقيق، لدرس جميع الكنائس الشرقية المتحدة، لا الاسيوية والافريقية فقط، بل الاوربية ايضاً كالكنائس الايطالية - اليونانية، والروثانية، والصربية، والبلغارية، والرومانية؛ فيبلغ مجموع المنتمين اليها ثمانية ملايين، يقابلهم ١٧٢ مليوناً من المنشقّين. والكتاب خير متمّم لكتاب الاب جانن في «الكنائس الشرقية المنشقّة» يتّبع ترتيبه في ذكر الفصول وتتابعها، على فرق ان في الكتاب الجديد فصلًا لا مقابل له في القديم، وهو الفصل الخاص بالموازنة. ومما يلاحظه المطالع بسهولة اهتمام المؤلف بالدقة العلمية. فهو لا يألو جهدًا في درس الوثائق الرسمية، بل في السفر والاطلاع على الحياة الدينية في الكنيسة التي يكتب عنها. حتى بدا كتابه دليلًا امينًا لا يستغني عنه كل من اراد الاطلاع على

دقائق الموضوع. ج. ل.

Pierre-Marie Bretonnet, **Le chanoine Mangou et la première communauté sacerdotale de Larchant.** Un vol. 22×15, 224 pp., 2 portraits et 1 carte. Paris, Bonne Presse, 1935. Prix: 10 fr.

حياة الخوري مانكو واعماله

من اصعب المشاكل التي تعرض لرؤساء الدين مشكلة حفظ الايمان، والقيام بالعبادات في ضواحي المدن ، وفي القرى النائيــة . فاذا وُجد من يحلها ، فيهتمّ بالالوف المؤلفة من العملة المساكين ومن الفلاحين البعيدين عن الاوساط الدينيــة ، كان له الفضل الجزيل . وعليــه فللاب مانكو فضل لا يُنكر ، وهو الذي قضى السنوات العديدة يعمل على تبشير سكان « الضاحية الدكنا. » في السين والمارن ، باذلاً ما يستطيع بل فوق مــا يستطيع ، حتى توصّل ، في جملة ما قام به من المشاريع ، الى تأسيس حياة مشتركة لكهنة الرعايا ، تساعدهم في تنمية غيرتهم وتوسيع منطقة تبشيرهم. وقد شعر الكاهن الغيور ، بعــد ان ذاق الم التضحيات الجمة ، بتعزيات اثلجت صدره وشجعته في اعماله الصعبة . وهذا ما اراد ان يعرضه المؤلف الذي كان شاهداً لاعمال الكاهن المــذكور ، ومعاوناً له في بعضها . فجمع معلوماته في هذا الكتاب الشائق الذي لا يخلو من التدقيق العلمي ، على ما فيه من عاطفة مشروعة . وقد مهّد له سيادة المطران بودريليار بمقدمة نفيسة في صعوبة العمل الرسولي في الضواحي ومــا يتطلب من صاحبه من تضحيات وجهود جعلت للمترجم ذكراً صالحاً بين رجال الاكليروس الفرنسوي .

P.P. Baudot et Chaussin, o. s. b., **Vie des Saints et des Bienheureux selon l'ordre du calendrier.** T. I, Janvier. In-8°, 663 pp., Paris, Letouzey et Ané, 1935.

حياة القديسين والطوباويين

اننا نقدّم الى القراء الكرام مجموعةً جديدة لتراجم القديسين والطوباويين، سيستقبلونها ، دون شك ، بكل ارتياح ، لما عُرف عن مؤلفيهــا من العلم ، ولما قاما به من ترتيب اذ عرضا التراجم حسب كلندار الاعياد يوماً فيوماً منذ

اول كانون الثاني. وهكذا يرى المطالع ، كل يوم ، اولاً ترجمة مشروحة عن كتاب « اعمال الشهداء » الروماني ، ثم لائحة باسماء مَن لم يدوَّن في الكتاب المذكور من القدّيسين والطوباويين ، مع ترجمة مختصرة لبعضهم صُرفت فيها عناية خاصة الى الجهة الطقسية ، واردفت بلائحة المصادر. واننا ، دلالةً على ما في التراجم من التنوّع ، نُشير الى ان ، في اول كانون الثاني ، ١٢ ترجمة في ٢٦ صفحة ، منها ٧ صفحات لذكر الختانة . ويُختم الكتاب بجدول ابجدي يتضمّن اسماء الاعلام . وقد يكون من المفيد لو اردف بجدول آخر يتضمّن اسماء الاعياد يوماً فيوماً . ج . ل .

A. Cherel, Fénelon ou la religion du pur amour. [*Les Maitres de la pensée religieuse*]. In-12, 283 pp., Paris, Denoël et Steele.

فنيلون او دين الحبّ الخالص

ايّ مركز يحتلّ في تاريخ الافكار المسيحية من اخلاقية ودينية ، ذاك الذي استخرج من النزعة الروحانية مذهباً خاصاً في الاخلاق والسياسة بل في شؤون الذوق ؟ هذا ما يجتهد المؤلف في تحديده دارساً تلك الشخصية البارزة التي لا تزال ، حتى اليوم ، تؤثر الاثر البليغ في رجال الثقافة العصرية على اختلاف مناحيها . ليقرأ المطالع مقدمة الكتاب فيفهم قيمة شخصية فنيلون ، ويدرك لماذا اختار المؤلف درسها ، على اثر الكثيرين من متقدّميه ، فوجد فيها مادّةً واسعةً تجعل من كتابه مؤلفاً في موضوع عصري لا تزال له جدّته واهميّته وجاذبيّته .

درس الكاتبُ صاحبَ الترجمة منذ شبابه ، منتقلاً به الى زمن اتصاله بالاب فلوري واتخاذه مذهبه ، ومذهب مدام گويون ، وكيف اصبح فنيلون من ارباب اللاهوت الروحاني ؛ وكيف اظهر الخضوع التام عندما رشقت رومة بالحرم كتابه في « حِكَم القديسين » ، فانصرف الى التبشير بالحبّ الخالص او المحبة . يذكر الكاتب هذه المظاهر ، دارساً اهم آثار الاسقف الكبير كآرائه السياسية في تلماك ، ومجموعة رسائله ، وردوده على الجانسنيين . ولم يمت اثر فنيلون بموته ، بل قامت تتنازعه الفئات المختلفة ولا تزال . على ان ما يهمنا فيه

خاصة انما هو الاخلاقي المسيحي صاحب القلب الكبير والفكر النيّر. ج.ل

G. Bernoville, Les Jésuites. [« *Les grands ordres monastiques et instituts religieux* », vol. XVII]. In-12, 334 pp. Paris, Bernard Grasset, 1935. Prix : 15 fr.

اليسوعيّون

كان الكثيرون ينتظرون هذا الكتاب بشيء من الفضول والرغبة في معرفة ما سيقوله المؤلف، اذ ليس من السهل على من كان غريباً عن الموضوع ان يجمع بين الثقة، والتدقيق، والروح النقدي، في كلامه عن رهبنة طالما اختلف الناس في الحكم عليها. على ان الكتاب ظهر موفّقاً بالنظر الى الجمهور الذي كتب في سبيله، حتى اننا لا نرى مانعاً في ان نوصي بقراءته من اراد معرفة مَن هم اليسوعيون. اما محتويات الكتاب فتبدأ بفصل خاص بالمؤسس، ثم تُذكر «تمارين الرياضة» المشهورة، ثم نظام الرهبنة. يلي ذلك ذكر العمل الرسولي والتبشيري، و«سرّ» هذا العمل. وفي الختام ملحق فيه تصميم «التمارين الروحية»، وحالة الارساليات اليسوعية في البلاد غير المسيحية في السنة ١٩٣٢ ج. ل.

Menahem Naor, Cours pratique de langue hébraïque. 1 vol. in-8°, XII - 96 - 112 pp. Jérusalem, Divan, 1935. Prix : 30 fr.

كتاب تعليمي للغة العبرية

هو كتاب بسيط واضح يبدو لنا غاية ما يتمناه من لم يتعوّدوا الاضطلاع بالمشاكل اللغوية. اما اللغة العبرية التي يعلّمها فليست عبرية الكتاب المقدّس، ولا ما نراه في كثير من التراماطيقات من مزيج بين العبرية القديمة والحديثة، انما هي العبرية الحالية التي يتكلمها الاسرائيليون في فلسطين. وفي المجلد قطع ادبية مختارة كلها تقريباً من آثار الادباء المعاصرين، وقد وددنا لو كانت اكثر مما هي. ولا شك في ان الكتاب يؤدي خدمةً جزيلة، ولا سيما اذا عرفنا ان الكتب التعليمية من نوعه قليلة جداً. وقد تناولنا، مع هذه الطبعة الفرنسوية، طبعة عربية للكتاب المذكور استفاد منها الكثيرون ممن تدفعهم اعمالهم الى التعامل مع الاسرائيليين في فلسطين. ب. م.

J. B. Chabot, Littérature syriaque. [*Biblioth. Cathol. des Sciences religieusees*]. In-12, 165 pp. Paris, Bloud et Gay.

الآداب السريانية

يتحف هذا الكتاب، على صغر حجمه، بدقة ووضوح لا نراهما الا في آثار الاختصاصيين من امثال المؤلف. يشعر المطالع بذلك في المقدّمة، ثم في التمهيد، وقد رأينا ان نذكر قسماً منه وهو افضل تعريف للكتاب:

«لا يمكننا ان نسرد في هذا الكتاب، ضمن الحدود الموضوعة له، تاريخاً مفصّلاً للآداب السريانية، ذاكرين كل المؤلفين، معدّدين جميع آثارهم. وهو لم يُكتب للمستشرقين الذين يستغنون عنه بما لديهم من منشورات اوفر اختصاصاً واوسع تفصيلاً. انما غايته ان يلقي نظرةً اجمالية على اغنى الآداب المسيحية الشرقية؛ فيظهر، بالايجاز، تلك الكنوز المتنوّعة التي توفّرها هذه الآداب لارباب التاريخ، والتفسير، واللاهوت، واللغة؛ فيدفع القرّاء الى التزيّد من معرفتها. ويمكن القول ان ليس من ادب، بعد الادب اليوناني والادب اللاتيني، اكثر فائدةً لدرس النصرانية من الادب السرياني، وبالتالي اجدر بان يلفت انظار كل من يهمهم تقدم الدروس الدينيّة.»

Ibn al-ʿArīf, Maḥâsin al-Majâlis. Texte arabe, traduction et commentaire par Miguel Asin Palacios. [*Collection des Textes inédits relatifs à la Mystique musulmane*, t. II]. In-8°, 106 pp. Paris, Geuthner, 1935. Prix : 60 fr.

محاسن المجالس لابن العريف

ابو العباس احمد بن محمد الصنهاجي، المعروف بابن العريف، من كبار صوفيي الاندلس النابغين في النصف الاول من القرن الثاني عشر († ١١٤١). عُرف محدّثاً فقيهاً؛ ثم تزهّد، وسنّ طريقةً صوفيــة في المرية لم تلبث ان عُرفت في انحاء الاندلس عامةً، فتبعها الكثيرون من كبار الصوفيين؛ وانتقلوا الى المرية فاصبحت عاصمة التصوّف الاندلسي. وقد اثّرت طريقة ابن العريف ونظريّته في «محبة» الله خاصة و«التوكل» عليه، في جميع مَن اتى بعده من

الصوفيين ولاسيا ابن العربي ، اثراً ادّى ببعضهم الى تجـاوز حدّ المحبة الى الحلول ، وحدّ التوكّل الى التواكل والخمول . فضلًا عن كون ابن العريف عمل على تنظيم فضائل الصوفية وترتيبها بحسب « منازل » الحياة الصوفية من معرفـة وارادة وزهد وتوكل وصبر وحزن وخوف ورجاء وشكر ومحبـة وشوق ، يلحق بها التوبة والانس . فلا عجب اذًا ان عـدّه العلماء من كبار مؤسسي الصوفية الاندلسية كما تجلّت لنا في آثار ابن العربي خاصة. ولا عجب ان تلفت شخصيته نظر العـلامة اسين بلاثيوس ، كبير الاختصاصيين بالتصوّف العربي الاندلسي ، فيفتش عن آثاره ، فلا يقف الا على اربع نسخ «لمحاسن المجالس» فيعتمد اثنتين منها : نسخة برلين ، ونسخة الاسكوريال ، في اعداد هذه الطبعة المفيدة . ولا يخفى ما « لمحاسن المجالس » من اهمية في درس الصوفية العربيـة لا في مظهرها الاندلسي فقط ، بل في مظاهرها الشرقية ايضاً ؛ ولاسيا بعد ان قدّم عليها الناشر بحثه الجامع الموجز في حياة ابن العريف ، وآثاره ، وتحليـل « المحاسن » ، وذكر اشارات ابن العربي في « فتوحاته » الى ابن العريف او الى « محاسنه » ؛ وبعد ان اردفها بترجمة واضحة تزيل مـا تتصف به النصوص الصوفية عادةً من ايجاز وغموض : فاضاف مأثرةً جديدة الى مآثره العـديدة في سبيل درس هذه النفحة الروحانية.

ف.ا.ب.

Félix M. Pareja Casanas, Libro del Ajedrez de sus problemas y sutilezas de Autor Arabe desconocido. [*Publicaciones de las Escuelas de Estudios Arabes de Madrid y Granada. Serie A., num. 8*], 2 vol. in-8, 259 + ٢٥٠ + CXXIX + 247 pp., Madrid, Maestre, 1935. Prix : 50 pesetas.

كتاب في الشطرنج ومنصوباته وملحه

لقد اولع العرب بالشطرنج ولماً كاد يصرفهم احياناً عن واجباتهم ، حتى حرّم بعض الخلفاء هذه اللعبة تحت طائلة العقاب الشديد ، كما يظهر من رسالة للكاتب عبد الحميد الى احد عمال الخليفة الاموي مروان الثاني . ثم كان ان الخلفاء العباسيين ادخلوا الشطرنج بلاطهم وخصوا به قسطاً من اوقات فراغهم ،

فزاد اقبال السراة والعامة عليه، ونشره الرحّالة والقوّاد في انحاء العالم العربي. فكان لا بدّ من ضبط قواعده، وتوقّع مختلف منصوباته، والعمل على حلها. فنشأت المؤلفات الخاصة بذلك. ومنها هذه الرسالة الفريدة في بابهـا، لمؤلف يُجهل اسمه، ولا يُعرف كتابه الا في نسختـه الوحيدة المحفوظة في المتحف البريطاني. وهي النسخة التي وقف عليها حضرة الاب فليكس باريخا اليسوعي فدرسها، وضبط نصها، وطبعها مع ترجمة الى الاسبانية، وصوّر فيها جميع هيئات الشطرنج في المنصوبات المختلفة. هذا في المجلد الاول. اما المجلد الثاني فخصه بدرس المخطوطة، وذكر مصادر البحث، وتفسير الكلمات الوضعية، وبشرح جبري علقه على المنصوبات المذكورة. فاتى عمـلًا دقيقاً يُذكر بالشكر كلما ذُكر هذا اللعب الذي جمل منه المؤلف، ثم الطابع، علماً ذا قواعد وضوابط راهنة.

ف.ا.ب.

Henri Massé, Firdousi et l'épopée nationale. In-16, 304 pp. Paris, Librairie académique Perrin, 1935. Prix : 15 fr.

الفردوسي والملحمة الوطنية

لا يزال صدى الاحتفال العالمي بمرور الف سنة على مولـد الفردوسي ملء الاسماع. ولا شك في ان الكثيرين من ادباء الشرق والغرب، غير العـارفين بالفارسية، يتوقون الى الاطلاع على شخصية الشاعر الكبير، وعلى تلك الملحمة التي ثبّتت اركان اللغة الفارسية الحديثة، فقامت لها مقام القرآن للعربية، او مقام ملحمة دانتي للاتينية. هذا ما اهاب بالاستاذ هنري ماسّه فوضع هذا الكتاب عارضاً فيه بوضوح تامّ، واسلوب سهل، كل ما تهمّ معرفتـه بشأن المؤلّف والمؤلَّف. بدأ بمقدّمة موجزة ذكر فيها معنى الملحمة الوطنية، وألقى نظرة سريعة على بلاد ايران القديمة، وبيّن كيف ان السيطرة العربيـة لم تقوَ على محو التقاليد المحلية. ثم تناول موضوعاً مهماً في نشأة الملحمة الوطنية، وما سبق عهد الفردوسي من شعر ملحمي متقطع يرقى اكثره الى ما قبل الاسلام؛ وما كان من نهضة الفرس وعودتهم الى لغتهم الاصلية وآدابهم القديمة، بعد ان عنوا مدة للغة الفاتحين فترجموا اليها شطراً من تلك الآداب. ويصل في الفصل

الثالث الى حياة الفردوسي الوافرة الاضطراب، الكثيرة العِبَر. ومنها ينتقل الى «الشاهنامه» فيشير الى تأثيرها، ويبيّن اقسامها، وما استند اليـه فنّ الشاعر فيها من عواطف الثأر، والحرب، والحبّ، والملاهي، والخوارق. ويجتهد في تحديد الاشخـاص، والعادات، والمناظر، ويحكم على اللغـة والاسلوب الانشائي. ثم يحلّل اخلاق الفردوسي وآراءه في السياسة والاخلاق، وعواقب الانسان. ويختم الكتاب بفصل قيّم خصه بتـأثير الفردوسي في الشرق، وفي الغرب حتى الادب الفرنسوي.

هذا مضمون الكتاب باختصار. ولا مندوحة لادباء العرب خـاصة عن مطالعته، فيكون خير تمهيد ينتقلون منه الى درس «الشاهنامة»، وقـد آن لنا ان ندرس هذا الادب الخصب فنستفيد منه في الحكم على ادبنـا العباسي القديم، وفي توجيه ادبنا العصري الجديد.

ف. ا. ب.

J. F. Gellert und H. Lorenz, Die Innenkolonisation Schwarzmeerbulgariens. Mit 18 Abb., 148 pp. Breslau, F. Hirt, 1934.

السكنى على الشاطئ البلغاري من البحر الاسود

مؤلفا الكتاب طالبان في معهد الجغرافية من جامعة ليبسيك خصّا درسهما بالسكنى على الشاطئ البلغاري من البحر الاسود، فاتى مثـالاً حسناً للدروس الجغرافية المحلية. وزاده اتقاناً عمل الطابع، فأخرجه تحفة فنية لا بأس بها. ولا يخفى اهمية تلك المنطقة، وهي منفذ بلغارية الوحيد الى البحر. وقد دقق الكاتبان في وصفها، وطرق السكنى فيها تاريخيًّا واجتماعيًّا، وعلى اي صورة يظهر فيها بيت السكن، فالقرية، فالمدينة؛ وما هي المزروعات، واساليب الصناعة الزراعية، الى غير ذلك من الشؤون الماسة بالجغرافية البشرية والاقتصادية. وقد درسها المؤلفان في مكانها في السنوات ١٩٢٦ و١٩٢٧ و١٩٢٨. وزادها تقريباً للافهام ما زيّناها به من صور ورسوم وخرائط ولوائح احصائية عديدة.

ج. ل.

J. Weulersse, **L'Afrique noire, précédée d'une vue d'ensemble sur le continent africain.** [*Géographie pour tous*, n° 3]. In-8°, 482 pp., Paris, A. Fayard et Cie.

افريقية السوداء

هي الحلقة الثالثة من مجموعة جديدة اسمها « الجغرافية في سبيل الجميع ». ظهرت، كما ظهرت الحلقة السابقة وموضوعها « اميركة الشمالية » للاستاذ بلانشار، على غاية ما يُرجى من الاتقان في الدرس وفي الخرائط خاصةً ، مما يمهد السبيل الى شهرة هـذه المجموعة . وكان من حقّ السود ان يحتلّوا المحلّ الاول في افريقية، وهو ما يقوم به المؤلف، فيلقي اولًا نظرة اجمالية على القارّة الافريقية فيدرس طبيعتها ، ووحدتها ، وازدواج العناصر فيها على طريقة مبتكرة جذابة. ثم ينتقل الى درس ممثلي العنصر الاسود في مناطقهم الطبيعيـة بادئًا بافريقية الغربية ، فالمتوسطة، فالجنوبية ، فافريقية الهندية مشتملةً على مدغشقر وما اليها من الجزر الثنوية. كل ذلك بدقة واسلوب يشكر المؤلف عليهما. بيد ان هناك افريقية اخرى ، هي افريقية البيضاء ، لم يعرض لها المؤلف بل تركها موضوعاً لكتاب آخر سيظهر في المجموعة نفسها.

ج. ل.

Jean Despois, Le Djebel Nefousa, (Tripolitaine), étude géographique. In-8°, 325 pp., 17 planches photographiques, 3 cartes et 19 fig. et croquis. Paris, Larose. Prix : 50 fr.

جبل نفوسه

هناك سلسلة جبال متسمة تسير على شكل هلال من قابس في تونس حتى اطلال لبتيس ماغنا في طرابلس ، محيطة بسهل فسيح ينبسط على شكل نصف دائرة ويُدعى جفارة. في وسط هذا الهلال الجبلي يرتفع جبل نفوسه ، على طول نحو ٢٠٠ كيلومتر ، موازياً البحر الذي يبعد عنه من ١٠٠ الى ١٥٠ كيلومتراً.

صرف المؤلف ، وهو فرنسوي من سكان تونس ، عدة سنوات في درس هذه المنطقة درساً ساعدته عليه السلطات الايطالية . وكان من نصيبه ان يصل اول الروّاد الى بقعة لم يدرسها احد قبله ، فقام بعمل مبتكر يبدو عليه التدقيق

والرغبة في اتباع البحث حتى النهاية . فبيّن لنا طبيعة الارض ، ومناخها ، ومياهها ، ونباتها . وطرق المعيشة فيها من زراعة وتربية مواش ، وذكر سكانها البربر والعرب . وحالة السكنى في الحاضر والماضي، وما اثّر فيها من تطور الحياة الاقتصادية، ومناطق السكن منذ اوائل عهدها بالتاريخ حتى الاحتلال الايطالي .

ج . ل .

Guide Michelin : Maroc, Algérie, Tunisie. 2e édition. Prix : 25 fr.

مراكش والجزائر وتونس

ان معامل ميشلن ، المشهورة بصنع دواليب الكاوتشوك ، تهتمّ بتنظيم رحلات وسياحات في فرنسة والخارج . وقد دُفعت الى وضع هذا الدليل لزائري افريقية الشمالية ، فاتى حاوياً ، باسلوب موجز واضح ، كل ما تهمّ السائح والمسافر معرفته عن مراكش والجزائر وتونس من معلومات تاريخية ، وجغرافية، وادارية خاصة ؛ واصفاً ٨١ طريقاً عاماً في تلك البلاد ، و ٢٨ محل نزهة ؛ مشيراً الى المجازات في قلب الصحراء . يوضح كل ذلك ٤٣ رسماً بالحبر الاسود و٧ بالحبر الملوّن .

Petit annuaire statistique de la Pologne. IVe année, 1935. [*Office centrale de Statistique de la République Polonaise*]. In-12, 195 pp. Prix : 1. 2.

دليل سنوي احصائي لجمهورية بولونية

تهتمّ بولونية جدّ الاهتمام باطلاع العالم على ما فيها . وها هي السنة الرابعة التي تنشر فيها هذا الدليل الجامع الرامي الى ان يكون صورة حقيقية لكل ما في البلاد من مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعقلية ، مقابلةً بما يشبه ذلك في انكلترة ، وفرنسة ، والمانية ، والولايات المتحدة . وقد وُزّعت المعلومات والاحصائيات على ٢٤ فصلاً عناوينها : الظواهر الجوّية ، الجغرافية ، حركة السكان ، الملكية العقارية ، الزراعات ، الجمعيات ، المعادن ، الصناعة ، المواصلات ، التجارة ، النقد ، الاعتماد المالي ، الاسعار ، العمل ، الاسعاف الاجتماعي ، الصحة العامة ، الضمانات ، التعليم ، الحياة العقلية ، الاحصائيات السياسية ، المدلية ، الادارة ، الجيش ، المالية .

E. Lesourd, Lectures historiques 1789-1848 In-8°, 361 pp. Paris, Larose.

مطالعات تاريخية ١٧٨٩–١٨٤٨

فائدة هـذا الكتاب كبيرة لاساتذة التاريخ في الصف الثاني من التعليم الثنوي ، اذ لا يخفى ما يجده الطلّاب من لذّة وفـائدة في قراءة فصل موافق لمادّة الدرس. وجميع فضول الكتاب موافقة ، منتخبـة باسلوب يميل الى السرد والقصص عن المناظرة والجدل. وقـد قُدّم على كل فصل شرح موجز ، وعرض يلخص الاقسام المهمّة. وأردف الكتاب بحواش موافقة.

Gaston Colin, Xénophon historien d'après le livre II des Helléniques (hiver 406/05 à 401/0). [*Annales de l'Est*, 1933, *Mémoires* n° 2]. Paris, Les Belles-Lettres, 1933.

كزينوفون المؤرّخ

لا يتفق العلماء على قدر قيمة كزينوفون المؤرّخ. هذا مـا دفع المؤلف الى اعادة النظر في الموضوع ، مستندًا الى الكتاب الثاني من تاريخ اليونان، اي منذ اقامة الاثينيين الدعوى على قوّادهم المنتصرين حتى صلح الاحزاب النهائي. وهي حقبة مهمة من التاريخ اليوناني. وقد تابع الكاتب بحثه بتؤدة ودقة فتحقق ان كزينوفون كان يهتمّ بالحركات العسكرية والاعمـال الحربية اكثر من اهتمامه بالشؤون الدستورية ، فضلًا عن كونه لم يخلُ من الغرض الحزبي ولم يـكن دائمًا علك الموضوع الذي يكتب فيه . فنتج من ذلـك شيء من عدم التدقيق في سرد الحوادث وفي تأريخها ، حتى انه لم يذكر رقمًا واحدًا دقيقًا في الحقبة الخاصة بالموضوع ، ثم يجب القول ان كزينوفون كان يرى التاريخ اثرًا من آثار الفنّ فكان ينصرف خاصة الى الاسلوب الادبي عن التدقيق العلمي.

اما الناقد العصري ، الاستاذ كولَن ، فيظهر غالبًا شديد الوطأة على المؤرخ القديم . وما ذاك الّا لانه بنى حكمه على قسم من كتاب كان من اقـل مؤلفات كزينوفون قيمةً . بيد ان هذا الحكم يؤيد آراء القدماء بالمؤرّخ اذ شبّهوه بالنحلة التي تحوم على كثير من الازهـار فتمتص شيئًا من كل منها .

ج . ل .

ROBERT VALLERY-RADOT, **Dictature de la Maçonnerie.** In-12, 302 pp. Paris, Bernard Grasset. Prix : 15 fr.

استبداد الماسونية

يشعر مطالع هذا التاريخ بشيء من الاسف اذ يتحقق اعمال تلك الجمعية السيئة المقاصد التي نفثت سمها في التاريخ الاوربي العام مدة قرن كامل، بواسطة رجال ظهر اكثرهم ابعد ما يكن عن التجرد والاخلاص. على انهم كانوا مقودين في اكثر اعمالهم، يسيرون سيرة عمياء الى تحقيق رغبات قوادهم الذين لا يعرفونهم ولا يعرفون نياتهم. وقد بدأت قوة الماسونية تظهر على كالها منذ القرن الثامن عشر؛ ومنذ هذا التاريخ يتبعها المؤلف فيدرس اعمالها في قسم اول من محفل لوندرة الاكبر حتى العهد الدستوري زمن لويس الثامن عشر، وفي قسم ثانٍ من العهد الدستوري حتى معركة سيدان، واخيراً في قسم ثالث من معركة سيدان حتى ستافسكي. ج. ل.

RENÉ GONNARD, **Histoire des doctrines monétaires dans ses rapports avec l'histoire des monnaies.** t. I, De l'Antiquité au XVIIe s. In-8°, 291 pp. Paris, Librairie du Recueil Sirey. Prix : 30 fr.

تاريخ النظريات النقدية في علاقاتها بتاريخ النقد

يشمل هذا الكتاب مجلدين بين ايدينا الاول منهما بادئاً بالعصور القديمة اليونانية والرومانية، فالعصور الوسطى، منتهياً بعصر التجارة الواسعة اي القرن السادس عشر والقرن السابع عشر. وغاية المؤلف ان يدرس باي شكل ظهرت الصعوبات النقدية، وكيف شعرت بها الشعوب فعملت على حلها عارضةً آراءها ونظرياتها من معقولة وغير معقولة، مصيبة وفاسدة، موفقة وفاشلة؛ يعرض ذلك في المقدمة مشيراً الى الاسباب التي دفعته الى ان يبدأ تاريخه بالمدنية اليونانية لا بما تقدمها من المدنيات.

هذا، والكتاب سهل الاسلوب لا نشك في ان كل مثقف يجد فيه لذة وفائدة في موضوع اصبح يهم الجميع لان تأثير النظريات النقدية غدا واضحاً في جميع مناحي الحياة بسبب ما تقوم به الحكومات احياناً من فرض حلول تمس افراد شعبها على السواء. ج. ل.

JEAN CAUMARTIN, **Les principales sources de documentation statistique.** 10×27, 40 pp. Paris, Dunod, éditeur, 1935. Prix : 16 fr.

المصادر المهمّة للوثائق الاحصائية

لا تخفى على احد اهميـــة الاحصائيات في تنظيم اي ادارة من الادارات الخاصة ، فكيف بها اذا كانت الادارة عامة تشمل مقاطعة كبيرة ، بل تشمل دولةً بأسرها ؟ فالدقة في المعلومات والسرعة في ايصالها من مرجع الى آخر لا توفّرهما الا الوثائق الاحصائيـة المنظمة ، فتطلع اولياء الامر على حالـة البلاد الداخلية في مظاهرها المتنوعة ، وعلى ما هناك من عوامل خارجية قد تؤثر في الدولة كالاتجاهات الاقتصادية ، وتطوّر المنافسة الدولية ، وهيئـة النقابات ، وتقلّب الاسعار ، وحالة الطلبات الخارجية ، الى غير ذلك مما يحدث الاثر العميق في حركة الانتاج والاصدار والاستهلاك .

ولما كانت الوثائق الاحصائيـــة في فرنسة غير موحّدة ، كان لعمل المؤلف فضله العميم . فقد لخص المصادر المهمّة لهذه الوثائق ورتّبها على طريقة تقرّبها من رجال العمل كلهم سواء اكانوا من رؤساء المشاريع العمرانية ، ام من الزرّاع والصناعيين ، ام من التجار ، ام من رجال الادارة ؟ فافاد تنظيم حركة التوزيع والاستهلاك التي لا تزال ضعيفة بالنسبة الى الانتاج .

Thalès, recueil annuel des travaux de l'Institut d'histoire des sciences et des techniques de l'Université de Paris. Première année, 1934. In-4°, 187 pp. Paris, F. Alcan, 1935. Prix : 30 fr.

مجموعة سنوية لمعهد تاريخ العلوم والفنون في جامعة باريس

ان معهد تاريخ العلوم والفنون في جامعة باريس حديث العهد ، لم يمض على نشأته القليل من الزمن حتى اختصَّ بنشرة هي هذه المجموعة السنوية التي تظهر لاول مرّة عن السنة ١٩٣٤ .

نرى في هذا الجزء الاول كل ما تهمّ معرفته عن المعهد المـذكور وغايته ، وطرق تنظيمه ، وامتحاناته ، وشهاداته ، ودروسه ومحاضراته التي ستُنشر كاملة او ملخصة في المجموعة . وقد بدأ الجزء الاول منها بتنفيذ هذا الوعد فنشر شيئاً

من محاضرات الكليات والمعاهد العامة التي توافق بمنهاج المعهد الجديد ، كما انه نشر شيئاً من محاضرات المعهد نفسه ، وعدة ابحاث وآراء ، ونظرة اجمالية في الحالة المالية ، مع دروس نقدية على الكتب الجديدة . واننا نشير ، في هذا القسم ، الى ذكر الكتب العربية ، وهي تبدو ضئيلة بالنسبة الى ما تنشره « ايزيس » مثلاً . كما اننا نشير ، في قسم المحاضرات ، الى ملخص محاضرة للاستاذ ماسينيون القاها في كلية فرنسة ، وموضوعها علم العمران الاسلامي ؛ متمنين للمجموعة الجديدة ازدهاراً متواصلاً . ج . ل .

Pierre Maes, **Un ami de Stendhal, Victor Jacquemont, d'après des documents inédits.** [Collection « *Temps et Visages* »]. In-8°, 632 pp., 8 illustrations hors-texte. Paris, Desclée de Brouwer et Cie. Prix : 30 fr.

ڤيكتور جاكمون ، استناداً الى وثائق لم تُنشر بعد

لم يكن جمهور المتأدبين ، حتى هذه الايام الاخيرة ، ليعلم شيئاً مهماً عن ڤيكتور جاكمون ، على الرغم من ان رسائله الى اسرته واصدقائه مدة سفره الى الهند (١٨٢٤—١٨٣٢) كانت مطبوعةً منذ السنة ١٨٣٣ ، ومعتبرةً من ارقى الآثار الادبية بشهادة كبار النقّاد كسانت بوف وفرنسيك سارسي . بيد ان الاحتفال الذي قام به ، في متحف التاريخ الطبيعي في باريس ، علماء فرنسة وغيرها من دول اوربة ، بمناسبة مرور مائة سنة على وفاة ذاك الرحالة العالم الذي نُقلت عظامه من الهند فدُفنت في المتحف المذكور سنة ١٨٩٣ ، ان ذاك الاحتفال لفت نظر الادباء والعلماء الى شخصية جاكمون ، فنشر مؤلف هذا الكتاب ، بمعاونة امين مكتبة المتحف ، مجموعتين من رسائل العالم الاديب الى صديقه الروائي ستندال ، والى العالم السويسري جان دي شربنتيه . فتلقاهما الادباء بكل ارتياح . ثم عاد الناشر فدرس شخصية جاكمون في هذا المجلد الكبير ، الذي تضمّن ثمرة ابحاث وتفتيشات دامت عشرين سنة ، فاظهرها واضحةً مرتبة فيها كل ما يرجو الادباء معرفته عن جاكمون العالم والكاتب ، ذي الحياة الحافلة بالرحلات والمغامرات في اميركة ولاسيما في الهند ، حيث توفي ، في مدينة بومباي ، غير متجاوز الحادية والثلاثين . هو كتاب مستند الى الوثائق الدقيقة من

معلومات ومراسلات لم يسبق نشرها ، على كونه يظهر في لذة الروايات ، وقد توفق المؤلف الى الجمع بين دقة البحث وحسن الاسلوب .

HENRI PRADEL, Les devoirs de vacances des Parents. In-12, 320 pp., Paris, Desclée de Brouwer et C^ie^, Prix : 12 fr,

واجبات الوالدين في العطلة المدرسية

عنوان هذا الكتاب يشير الابتسام على شفاه الابناء ، ولكنه يدفع والديهم الى التفكير في خطر تلك الاسابيع التي يقضيها اولادهم زمن العطلة المدرسية . في تلك الاسابيع يتذوق الاولاد حياة الحرية فيشعرون شيئاً بالمسؤولية الشخصية . ولا يخفى ما لهذه الحالة من الاهمية بالنظر الى مستقبلهم . وعليه فان من واجبات المدربين ، والوالدون في مقدمتهم ، ان يسهروا السهر كله عليهم ويستعينوا بنصائح ذوي الخبرة . ومنهم صاحب هـذا الكتاب ، وهو مدير مدرسة ماسيلون ، الذي عرض لجميع المشاكل التي تثيرها ايام العطلة المدرسية فحللها بجرأة ورصانة ، وتنقل بينها ذاكراً خطر ايام العطلة ، ومدتها ، واعدادها ، وحريتها ، وما تفرضه من واجبات رياضية وعقلية واخلاقية وعائلية واجتماعيـة ودينية . وقد كتب مقدمة المؤلف سيادة المطران كوركو ، اسقف اورليـان ، فذكر ما امتاز به من وضوح وسمو افكار .

JACQUELINE VINCENT, Rosie et l'amour, roman [*Collection Perceval*] In-12, 339 pp. Paris, Desclée de Brouwer et C^ie^. Prix : 10 fr.

روزي والحب

من مبتكرات طابعي الكتاب نشرهم هذه المجموعة المعروفة «بمجموعة برسڤال » ، المختصة بالناشئة المثقفة ، والمشتملة على كتب ، من روايات وغيرها ، صالحة لان يطالعها الجميع . ومنها الرواية التي نصفها اليوم ، وبطلتها روزي وهي ابنة في السادسة عشرة من عمرها من عائلة غنية ولكنها محافظـة على العادات الصالحة والمبادئ الاخلاقية . تتنوع وقائع الرواية فتأتي كلها قاضية على مـا يراه بعض حديثي النعمة من شروط المدنية والتقدم كالاخذ بالتطرفات الاخلاقية وما اليها . وكلما تقدم المطالع في قراءة الكتاب شعر بتلك الروح العاليـة تختلج في جميع سطوره ، وتأكد ان المؤلفة نجحت النجاح التام في روايتها .

دائرة المعارف الاسلامية

المجلد الاول : العدد العاشر ، ٦٣ ص. كبيرة

المجلد الثاني : العددان الاول والثاني ، ١٤٢ ص. كبيرة

٣٠ شارع نوبار باشا ، مصر ، ١٩٣٥

لا حاجة بنا اليوم، وقد تقدّم لنا كلام سابق في الموضوع، الى تعريف هذا العمل المهمّ الذي تقوم به مصر العصرية ، ناقلةً خلاصة ابحاث المستشرقين المدوّنة في « دائرة المعارف الاسلامية » الكبرى . انما نشير الى ان الجامعة المصرية اختارت احد اعضاء لجنة الترجمة ، الاستاذ محمد ثابت الفندي ، فارسلته عضوًا في بعثتها العلمية الى فرنسة ، فكان ان اللجنة اختارت الاستاذ عباس محمود ، فحلّ محلّ الاستاذ المستقيل ، وباشر عمله مع زملائه منذ اول المجلد الثاني .

اما محتويات العدد العاشر من المجلد الاول فاهمها بحث فنسنك في « ارم ذات العماد » ، ودرس ستريك الواسع في «ارمينية»، وكذلك درس مينورسكي في « أرمية » وبحيرتها . وليس فيه من الحواشي ما يستحق الذكر .

واما العددان الاول والثاني من المجلد الثاني فقد جمعا من « ارنوط » الى « اسكوب » محتويَين على مباحث مهمّة ، منها الدرس الاول في « الارنوط » لسوسهيم ، مع ملحق في «البانيا بعد ١٩٠٢» زاده الاستاذ شفيق غربال على المادة الاصلية . ومنها البحث المصوّر في « الازهر» لفولرز مع ما اضافته لجنة الترجمة عن « الازهر في عهده الحالي » . ومنها موادّ « الاسكندرية » لكست ، و«الاسطرلاب» لنللينو ، و«الاسراء» لشريك ؛ وما عُلّق على « الاسراء » و«الاستسقاء» و« أسامة » و« اسحق » و« اسرائيل » من حواش كثر في بعضها ترديد الفاظ « العلم » و«العقل » و« حريّة البحث » واستندت في اكثرها الى حجج دينية عاطفية ، واحاديث تقليدية ، لا يسلّم بها كتّاب الدائرة الذين يردّ عليهم معلّقو هذه الحواشي . وانما تقوم فائدة هذه المناظرات ، ان كان لها من

فـائدة ؟ بان يسير الفريقان على اساس علمي مشترك يُقرّانه ويسلّمان بصحة مقدّماته ، فتتعادل اسلحتهما ، ويتوحّد موضوعهما . اما ان يستند احد الفريقين الى الحوادث الوضعية والوقائع الثابتة ، ويلجأ الآخر الى المعتقدات والتقاليد والاحاديث ، فما لا تقرّه المناظرة العلمية الصحيحة ، ولا ينتج الا التباعد عن الحقيقة ، هذا ان لم يؤدِ الى المهاترة واثارة الحفائظ . ف.١٠ب.

كتاب الاوراق: قسم اخبار الشعراء

لابي بكر محمد بن يحيى الصولي

عُني بنشره ج. هيورث دن

٢٨٦ ص. متوسطة – مطبعة الصاوي ، مصر ، ١٩٣٦

كان ابو بكر محمد بن يحيى الصولي من كبار الادباء في العصر العباسي الثاني ، اخذ عن رهط من مشهوري الفقهاء والمحدّثين ورجال العلم كالسجستاني والمبرّد وثعلب ، واخذ عنه عدد من ائمة الادب كالمرزباني ، صاحب الموشّح وغيره . وقد اتصل بالخلفاء ووزرائهم ، وكان له حوادث معهم ، كما كان له وقائع مع معاصريه من شعراء وكتّاب وادباء . وكان يدوّن كل ما يعجبه في قراءته او سماعه ، على قلة اهتمام الادباء بالتدوين اذ ذاك ، حتى عُرفت لـه « خزانة » ادب يرجع اليها في تآليفه ، فهجاه بها ابو سعيد العقيلي قائلًا:

انما الصوليُّ شيخٌ اعلمُ الناس خزانَهْ
ان سألناه بعلمٍ طلبًا منه إبانَهْ
قال: يا غلمان ، هاتوا رزمةَ العلم فلانَهْ !

وكان ان جمع الصولي ثمرة مطالعاته واطلاعاته في خمسة او ستة اجزاء سماها كتاب « الاوراق » ، فألف منها مجموعة نفيسة في التاريخ والادب. على انها لم تُطبع ، وعبثت يد الدهر باجزائها ، فلم يبقَ منها الا اربعة مجلّدات متفرّقة في لينغراد ، واستانبول ، والقاهرة. منها هـذا الجزء ، وهو الاخير ، وقف عليه في دار الكتب المصرية الاستاذ ج. هيورث دن ، خريج مدرسة العلوم الشرقية بلندن ، فنشره بعد ان قدّم عليه مقدّمة في المخطوطة وترجمة

مؤلفها وددنا لو كانت اطول ، واوفر دقة ، واعمق درساً . والاستاذ معجب بكتاب « الاوراق » اعجاباً قد لا يشاطره اياه جميع النقاد . على ان اعجابه افاد تاريخ الادب اذ دفعه الى طبع هذا القسم من الكتاب . وهو من المصادر المهمة لدرس عدد من الشعراء الثنويين في العصر العباسي الاول . اما طريقة المؤلف فلا تكاد تختلف في شيء عن المعروف في كتب التراجم : يذكر الشاعر بنسبه القريب والبعيد ، ويسرد ما « حُدّث » به عنه من اخبار ونوادر ، ثم يورد عدداً لا بأس به من قصائده ومقطعاته ، تارة يختار وينتخب وطوراً يورد كل شيء ، اذا كان الشاعر مقلاً . فهو ، من هذه الناحية ، ذو قيمة لا بأس بها ؛ لانه ، وان كان يقلّ قيمةً نقدية عن مترجمي الشعراء ، كابن قتيبة مثلاً ، تراه يفوقهم في ايراد شعر من يترجم لهم ، فينال صفة جمّاع المنتخبات والدواوين فوق صفة المؤرخ الادبي . اما الذين ترجم لهم في هذا الجزء فاولهم أبان بن عبد الحميد اللاحقي ، شاعر البرامكة ، وناظم كليلة ودمنة ، وغيرهما من القصائد الطويلة المعروفة بالمزدوجات ، النامّة عن نفس طويل وصناعة سهلة ، المنحرفة بصاحبها اولاً وبتقليده ثانياً الى ذاك النوع من الحكم المنظومة الذي أصبح في ما بعد من آفات الشعر العربي . ثم ترجم المؤلف ، بعد أبان ، لعدد من ذويه ؛ منتقلاً الى ترجمة اشجع السلمي واخيه احمد ، وهما من الشعراء المعروفين ؛ ولاسيا اشجع ، وقد اورد الصولي كثيراً من شعره في المدح والرثاء خاصة . يلي ذلك اخبار احمد بن يوسف ، وزير المأمون ، فيوسف بن القاسم ، فالقاسم بن يوسف وهو من الشعراء الكبار ، وان لم يخصّه تاريخ الادب بذكر صالح ، اشتهر خاصة بمراثي البهائم على طريقة مبتكرة قلّما عرفناها في الشعر العربي ، وقد احسن الصولي صنعاً بجمعه كل شعره تقريباً . وينتهي الكتاب بذكر محمد بن عبدالله بن احمد بن يوسف المتقدّم خبره ، واحمد بن ابي سَلَمة الكاتب ابن اخت احمد بن يوسف المذكور .

هذا ملخص ما جاء في القسم الحاضر من كتاب « الاوراق » ، ولا حاجة بنا الى لفت نظر النقّاد ومؤرخي الادب الى مطالعته والاستفادة من معلوماته .

ف . ا . ب .

اخبار الراضي والمتقي
من كتاب الاوراق للصولي

عني بنشره ج. هيورث دن
٢٢٢ ص. متوسطة – مطبعة الصاوي، مصر، ١٩٣٥

وهذا ايضاً جزء من كتاب «الاوراق» للصولي، أُخذت صورته عن نسخة في مكتبة شهيد علي بالاستانة، وحُفظت في دار الكتب المصرية الى ان قيّض لها الله الاستاذ هيورث دن، فاعجب بها اعجابه بالقسم المتقدم ذكره من الكتاب، بل فوق ذاك الاعجاب، فنشرها على طريقته في نشر القسم السابق. وهي تتضمن تاريخ عشر سنوات من العصر العباسي الثاني، اي اخبار الراضي بالله (٩٣٤–٩٤٠) والمتقي لله (٩٤٠–٩٤٤) وفيها بدء انحطاط الخلافة العباسية. وقيمة الكتاب في ان الصولي يمزج بين التاريخ السياسي والتاريخ الادبي، فيدوّن كثيراً من الامور التي شهدها بنفسه، اذ كان متصلاً بالراضي، ويورد كثيراً من شعره، ومن شعر الراضي ايضاً. فله من ثمّ قيمة شاهد العيان، وقيمة المؤرخ الرسمي للدولة. ف.ا.ب.

ديوان حافظ
لمحمد حافظ ابراهيم

٢٧٦ ص. متوسطة – مكتبة الهلال، مصر، ١٩٣٥

كان حافظ ابراهيم، ولا يزال، في مقدّمة شعراء القرن التاسع عشر. نقول القرن التاسع عشر، وان يكن قد توفي بعد ان طوى ثلث القرن العشرين، لانه قلّما جارى الذوق العصري في شعره الكثير. كانت ثقافته محصورة في ناحية من الادب العربي، وكان اضطلاعه بالمشاكل الاجتماعية سطحياً على الغالب؛ فاكتفى، من الشعر، بتجويد النظم حريصاً على انتخاب الالفاظ الشعرية، راغباً في الاساليب الموسيقية، ساعياً وراء الديباجة العربية الصافية؛ واكتفى، من التفكير، بالتعرّض لهموم الشعب المصري العامة، معبّراً عن امانيه، مصوّراً مخاوفه، مادحاً وراثياً عظماءه. هذا الى شخصية جذّابة بفطرتها، محبّبة

ببساطتها واخلاصها ؛ حتى اصبح الشاعر ، في حياته ، احبّ شعراء مصر الى الشعب المصري ، لا يقول القصيدة الا تناقلتها الصحف ، وتناشد مقاطعها الادباء وغير الادباء ، فكان من الشعب وللشعب . على ان « ظرفية » هذه القصائد ، التي كانت اساس شهرته في حياته ، تنزل بها عن مستوى الشعر العالي . وها اننا نطرح هـذا الديوان بين يدي النقّاد ، ولم يمرّ على وفاة صاحبه الا السنوات القلائل ، ونسألهم كم هي القصائد الجديرة بالخلود بين هذه المئات ؟ بيـد ان نشر الديوان مفيد لتصوير ناحية من الشعر العربي في طوره الانتقالي من القرن التاسع عشر الى القرن العشرين . وقد وُزعت فيه القصائد على ابواب في عناوين بعضها دليل التقليد ، وهي : المديح ، شكوى الزمان ومعاتبة الاخوان ، الوصف وفيه اربع قصائد لا غير ، الخمريات ، المراثي ، المقطعات ، وقد نُشرت تحت هذا العنوان قصائد لا تمتّ اليه في شيء منها في المدح والرثاء ، ومنها في الحوادث السياسية والاجتماعية ، ومنها في الادب ، ومنها في القصص . وكأن متولي نشر الديوان ضجر من ترتيبها فنشرها كلّها تحت هـذا العنوان الجامع . ويا ليته لم يفعل ! كما ضجر من وضع فهرس ، فاتى الديوان أبتر لا يستفاد منه الا بتصفّحه كلّه .

وقد عُني الشاعر الاكبر ، خليل بك مطران ، بوضع مقدّمة للديوان دافع فيها عن الأمة المصرية ، وذكر الشيء الكثير عن شخصيـة حافظ وشعره ، فبرهن عن ادبٍ عالٍ ، ولطف جزيل . ف . ا . ب .

كلمة سواء

مكاتبة بخصوص عقائد وآراء بين مفكرين من المسلمين والقسيس الفريد نيلسن

المطبعة الاميركانية ، بيروت ، ١٩٣٦

بعد اقـامة طويلة في الشرق تحقق المؤلف الفرق بين الـدين الاسلامي والمسيحي ، وسوء الظن الموجود بين المسيحيين والمسلمين . وسببه ، في زعمه ، سوء التفاهم بين الفريقين فيما يخصّ اصول دينهم . فاراد ازالة ذلـك بان يسهل طريق التفاهم ، فدعا المتنورين من الطرفين « ليقدموا احسن مـا يعرفونه من

امورهم الـدينية » ويعرفوه الجميع . فصار بين القسيس نيلسن وبين سبعة من مفكري المسلمين مراسلات في كل منهـا يعرض احد المسلمين اعتراضاته على القسيس البروتستنتي ، ويردّ هذا عليه بالجواب ، وهو يتوخى فيـه لا ان ياتي « ببراهين او ادلة فلسفية ومنطقية تبطل حالًا كلام الخصم لكن مقابلة مـا يقال من الجهتين لفهم كيف وصل كل طرف الى فكره » (ص ٤٧) ويقول (ص ٤٩): « واذا لم يمكنا الاتفاق مع المسلمين (فيما يخصّ سر الفداء، واعتباره وسيلة لمحاربة الخطايا والسعي نحو الكمال) ، فلنعش كالاخوة »

ان القسيس نيلسن يستحق الثناء فيما يتوخـاه من التأليف بين المسلمين والمسيحيين. اما الطريق التي يسلكها الى ذلك فهي في رأينا بئس الطرق. كيف لا وقد انهالت عليه في رسائل المسلمين الاعتراضات الجوهرية العظمى في اهم اسرار ديننا المقدس ، وقد يرتبط شروح مباديها باصول فلسفية تقتضي الكلام بالاساليب المدرسية التي تتخطى بالمناظر خطوات متلاحقة ، فيرتقي تدريجًا من النظر الفلسفي الى النظر اللاهوتي الى ضبط اصول الوحي والتفسير وتعليمه بموجب سلطان الهي « يسبي كلّ بصيرة الى طاعة المسيح » (٢ كور ١٠-٥) !

خاض نيلسن المعمة وهو اعزل ، او يكاد ، لان المطالع على رسائـل المسلمين وعلى الردود عليها كما جاءت في كتاب نيلسن لا يغلق الكتاب وهو في راحة الى معتقد الدين المسيحي وقد تشوّهت صورته فاسودت بين يدي القسيس البروتستنتي، وهو الموافق على كلام من قال: « ان مسيحيي الشرق الادنى لا يخسرون شيئاً اذا تركوا الدين المسيحي فصاروا مسلمين » فهل من صفعة آلم من هذه الصفعة في وجهنا ! وهل هذا كل ما ادّت اليه جهود نيلسن بعد طول اقامته بيننا !

منذ ايام قادتني مهمّتي الكهنوتية الى نصح المسؤولين البروتستنتي حيث لا كاهن ولا مرشد ، ولكن نفوس تعاني النزاع بينما ينخر اجسادها الداء الهائل. هناك الشبان من مسيحيين ومسلمين . وما ان رآني احد المسيحيين الا اتى يلحّ عليّ ان ابدد الشكوك التي حدثت في فؤاده بعد قراءة كتاب « كلمة سواء » وقد وقف منه على الاعتراضات ولكن لم يجد فيه الرد عليها ! والمسكين يشعر

ان ايامه معدودة ويوم الرب قد اقترب اليه ا هذه الشكوك هي ثمرة الجدال العقيم والفحص الديني غير المفيد بسلطان مَن يعدّهم شعبهم مقامين من قِبَل المسيح رعاة النفوس ومرشدين لها. ف. ت

المصطلحات العلميّة العربيّة وما يقابلها باللاتينية والانكليزيّة والفرنسية لأسماء الحيات

بقلم جرجس فيلوثاوس عوض والدكتور دميس جرجس

المطبعة المصرية الاهلية الحديثة ، بالقاهرة ، زهاء ٧٠ ص. قطع ١٢

السيد فيلوثاوس معروف بمؤلفاته على الكنيسة القبطية . اجتاز دائرتها الى بحث صعب جدًا وهو تعيين اسماء الحيات باللغة العربية ، « على امل ان يساعد المجمع العلمي الملكي باعماله وهي اوسع مادة من ان يقوم بها اعضاء المجمع من دون مؤازرة غيرهم » . فاشعر مع نجله الكريم باستعدادهما الى معالجة اسماء الحيات لكونهما اشتغلا سابقاً بالعلاقات بين اللغات الشرقية ، واقبلا على العمل بعد مراجعات الكتب العربية والافرنجية المختصة بابحاثهما وقد رويا مصادرها . في آخر الكتيّب لائحة اسامي الحيات باللغة العربية وعددها يزاهي المئتين ، اغلبها لا يوجد الا في القواميس الكبرى ، وهي مأخوذة من اقوال العرب وتآليفهم . فللمؤلفين الفضل في التفتيش عنها وجمعها . ولكن هل يا ترى اصابا في وضعها دلالةً على الحيات المتنوعة الآتي وصفها في الكتب العلمية المأخوذة منها اسماؤها الغربية ، وهي مرتبة الترتيب العلمي بموجب الفصيلة والجنس والنوع مما لم يخطر امره على بال العرب ؟ وهؤلاء لا يكاد يجاوز وصفهم الحيّة لونَها وحجمها فلا يفيدون في الاسم الذي اطلقوه عليها بتعريف طبيعتها الخاصة ليتاح لمن يستعمل الفاظهم ان يعيّن مدلولها من دون خطر الغلط ؟ — جاء في القاموس : « حباب » معناها الحية ؛ و«الحبث» حية عوجاء بتراء ؛ و«حر» ولد الحية اللطيفة ، قال الطرماح :

منطوي في جوف ناموسه كانطواء الحرّ بين السلام

(عن اقرب الموارد)

و«حراش» الحية السوداء؟ و«حريش» الكبيرة من الافاعي؟ و«حواف» حية مظلم اللون يضرب الى سواد اذا اخذ الانسان لم يبق منه دم الا خرج (عن اقرب الموارد واللسان) و«حصينة» وهي الحية بلغة طي عن اللسان . فترى ان الصفات المساعدة على تعيين هوية الشيء باسمه الفارق بينه وبين غيره من سلسلة الكائنات التي من جنسه ونوعه غير واضحة في عرف العرب ولغتهم ؟ فهل من الافادة في استعمال تلك الالفاظ في معجم علمي لتعريب الاسماء التالية : Vernicella, Tropidechis, Gunther, Petalognatus وغيرها وغيرها ! اما تعريب اللفظة الافرنجية بنقلها باحرفها الى العربية فلا نرى بدًا منه في هـذه الناحية الوعرة من المعارف ، وقد نوافق فيها المؤلفين الفاضلين ونقول طربدخ ، ورمسل ، بتلغنط ، في تعريب الالفاظ الافرنجية المذكورة . ف . ت .

تحت راية الحق

في الرد على الجزء الاول من فجر الاسلام

لمؤلفه الشيخ عبدالله السبيتي العاملي

مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٣

في شهر نيسان الماضي قضينا بضعة ايام في صيدا تسنى لنا في غضونهـا ان نزور مكتب العرفان فتشرفنا بمصافحة الاستاذ عارف الزين صاحبه ، واجتمعنا عنده بالشيخ عبد الله السبيتي العاملي ، فقدّم لنا هذا الكتاب هديةً وان فيه ما يذكرنا بكتاب تحت راية القرآن وردّه على اقوال طه حسين في الشعر والادب الجاهلي .

صدَّر السبيتي كتابه بمقدمة واضحة الاسلوب غنية المواد سطّرهـا الشيخ مرتضى آل الكاظمي مُبيناً الفرق بين السنة والشيعة واسباب التنافر بين الفرقتين . وان لتعليلاته وقعها الحالي بالنسبة الى ما تحمله الينـا الانباء من اخبار العراق ومعارضة الشيعيين فيها حكامهم السنيين .

تتبع المؤلف اقوال احمد امين بندًا بندًا في العبارات الملخصة وجوه الخلاف فرد عليها محتجًا بالبراهين التاريخية المأخوذة ليس عن اهل الشيعة فحسب ولكن

عن اهل السنة ايضاً.

لا يسعنا الا الحياد في مناظرة ليس من شأننا التدخل فيها. ولكن مطالعتنا الكتاب اوقفتنا على تعليات قيّمة مفيدة نشكرها للمؤلف . ومنها تفسير لفظة شيعة (ص ٦٤) وتاريخ انتسابها الى اهل البيت، وتمسكها بخلافة علي، ابن عم محمد وزوج ابنته، واقوالها في المهدي، واختلافها في تشخيصه هل ولد ام هل سيولد؟ وهل هو الامام الحسن العسكري او غيره (ص ١٢٠) ومن الاقوال التي امتازت بها الشيعة «التقية» او اتقاء الاضطهاد بالتكتم في الاعمال والتظاهر بما ليس في القلب، «فيكتم الشيعي تشيعه احتفاظاً بحياته ما دام الكتمان ممكناً اما اذا لم يكن ممكناً ترك التظاهر بما يخالف اهل السنة من الاقوال والافعال وبارهم اتقاء الفتنة كما يفعله اليوم اهل السنة في الحجاز» (ص ١٢٧) واستشهد المؤلف على صحة قوله بآية القرآن «من كفر بالله بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فعليه غضب من الله» (ص ١٢٦) والكتاب مشبع بالنصوص القديمة واقوال المحدثين القليلة الالفاظ الغزيرة المعاني؛ وددنا لو تخللتها علامات الوقف في المواضع المساعدة على فهم الكلام من تقاطيعه فزادتها وضوحاً .

ف. ت.

مكتبة الاطفال الحديثة

يصدرها احمد عطية الله المفتش بوزارة المعارف

تنشرها مكتبة عيسى الحلبي وشركاه بالقاهرة

هي اربعة كتب صغيرة اهداها الينا السيد عيسى الحلبي فيها، مع جميل الصور ورقيق المعاني، الحكايات والملاحظات الاجتماعية والتاريخية والعلمية الجديرة بتنبيه الاطفال الى نواحي التفكير والثقافة فيستعدون بها الى الدروس الرسمية. اليك اولاً كراسة «صورة فكهة للاطفال»، وعلى صفحتها الاولى قط ذو ذنب «معكوف» خارج من خلال السترة والبنطلون لانه لابس اللبس العصري! مما يضحك الطفل ويشوقه الى تقليب الكتاب؛ وهناك كتاب «اطفال العالم» وفيه صور واوصاف الطفل الانكليزي والفرنسي والمصري وغيره وغيره؛ وهناك

«حكاية الطعام» وهي سلسلة الثقافة العامة ؛ واخيرًا كتيب عنوانه «لماذا» وفيه اجوبة على اسئلة علمية بسيطة جداً .

ماذا يكون نصيب النجاح لمثل هذه المكاتب في المدرسة ؟ — الايام كفيلة بالجواب. على اننا نرى افادة بان تعطى هذه الكتب جوائز للاطفال مكافاة ، كما تعطى امثالها امثالهم عند الافرنج . ف. ت.

ايام بغداد

تأليف امين سعيد

٢٤٧ ص صغيرة — مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، ١٩٣٥

سافر مؤلف الكتاب الى بغداد مع الوفود التي أمّتها لتأبين الملك فيصل في تشرين الاول ١٩٣٣ ، مندوباً عن الهيئات السورية بمصر ، ومصر لم تُرسل وفدًا يمثلها في تلك الحفلة الكبرى ، (ص ٣١—٣٢) ؛ فدوّن ما رأى وسمع في طريقه ، واثناء اقامته في بغداد وغيرها من بلاد العراق ، جامعاً هذا الكتيّب اللطيف المفيد . اما الاسلوب فصحفي تامّ بما فيه من سعة المعلومات ، وسهولة الترتيب ، والتقسيم الى فصول قصيرة واضحة ، وبما ينقصه من تدقيق ، ولاسيا في ما خصّ البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسوي . ف. ا. ب.

النجوى

بقلم الخوري يوسف الحداد

١٤٢ ص. متوسطة — مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٣٥

هي مجموعة مباحث نظرية اخلاقيــة في الوطن اتت صورة افكار واقوال للعامة والخاصة ، كان مؤلفها قد نشرهــا تباعاً في جريد المراقب (مناوس ، البرازيل) بامضاء « مفكر » ، فاعاد النظر فيها وطبعها منقّحة . وقد اخذ الكثير من موضوعاتها عن الطبيعة الحافلة ، في نباتها وحيوانها ومختلف مظاهرها ، بالمواعظ والعبر ، ينظر فيها المفكر الحكيم فيستخرج الامثال المفيدة والنظرات الدقيقة ، ويعرضها باسلوب شائق عُرف به المؤلف .

اسرار الطفولة وخفايا الشباب

بقلم ميلاد كدواني

١٥٢ ص . صغيرة – مطبعة المجلة الجديدة ، مصر ١٩٣٥ – الثمن : ٨ قروش صاغ

لقد مارس المؤلف فنّ التربية ، فعانى مـا يلاقيه المربّي من العقبات في تفهم عقلية الاولاد ، وفي تدريبهم خاصة . وطالع كثيرًا من النظريّات لفريق من اختصاصيي العصر بشؤون الاطفال والشباب ، ووقف على شيء من الاختبارات في هذا الموضوع . فجمع ، وعرّب ، ورتّب ، واذا به يعرض سلسلة من هـذه الابحاث تفتح نافذةً ، بل نوافذ ، على نفسية الاطفال والشباب ، منتقلةً بالمطالع من ملاحظة الطفل الصغير وما يبدو عليه من مظاهر الغيرة ، والبكاء ، والخوف ، والشراسة ، وغيرها ، الى مراقبة المراهق وما يجول في نفسه من آمال وميول . . . ؛ يتخلل ذلك بعض الآراء في الامزجة ، والغريزة ، والبيئة وتأثيرهما ، وموقف الطفل من المظاهر الاجتماعية ، ومسؤولية الوالدين . كل هذا باسلوب مقبول قد يشكو من الايجاز المخلّ احيانًا ، كما يشكو من نقص في الترتيب والتنسيق . ومن البديهي ان الكتاب موضوع للوالدين والمربّين وحدهم ، وفيه ما يفيدهم فائدة جزيلة ، وان لم يُقرّوا المؤلف على بعض آرائه .

ف . ا . ب .

روائع اليوبيل المئوي الثاني

لتخليد ذكرى المطران جرمانوس فرحات

٨٠+١٢٢ ص . متوسطة – المطبعة المارونية ، حلب ، ١٩٣٤

كان المشرق في طليعة الصحف الـداعية الى الاحتفال باليوبيل المئوي الثاني للمطران جرمانوس فرحات ، فنشر مقالاً مطوّلاً في الموضوع ، (٣٠ [١٩٣٢] : ٤٩) ، وأبدى رأيًا في طريقـة الاحتفال اولاه القائمون به بعض الاعتبار ؛ ثم وصف تلك الحفلة الشائقة التي اقامتها الشهبـاء في ٢٠ ايار ١٩٣٤ (المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ٣٠٠) وها انه اليوم يقدّم الى القرّاء الكرام هذه المجموعة القيّمة

التي شاء خليفة فرحات على كرسي ابرشيـة حلب ، سيادة المطران ميخائيل اخرس ، ان يجعلها تذكارًا لتلـك الحفلة ، فتظل ذكرى فرحات ملء الانظار والاسماع . وقد قسمت المجموعة الى قسمين : اشتمل الاول منهما على ترجمة المطران النابغة ، وعلى بعض الـدروس في حياته الرهبانيـة ، ومنشآته الاسقفية ، ومقدرته اللغوية ، وموهبته الشعرية ، وما ترك من آثار في الـدين والعلم . وخُصّ الثاني بمـا قيل في الحفلة نثرًا ونظماً بالعربية ، والفرنسوية ، والسريانية . وقد زيّن المجلد بصور للمطران المحتفى بيوبيله ، وتمثاله ، ولبعض خطباء الحفلة . فاتى اثرًا لائقاً عن اجمع الناس على تكريم ذكراه . ف . ا . ب

كتاب الاغاني

تأليف ابي الفرج الاصفهاني

الجزء السادس : ص ٤٤٨ ، والسابع : ص ٣٦٢ ، قطع الربع
مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٥

الجزءان تابعان للاجزاء التي وصفها « المشرق » عند ظهورها ، وفيهما الصفات الفنيّة والادبيّة والعلميّة المذكورة سابقاً : جمال الاحرف وجلاؤها ، مراعاة حقوق العين في ترتيب الفصول ووضع العنـاوين والهوامش ، وعناية بالمقابلة بين النسخ والتنبيه الى الفروقات بينها لتمحيص المعنى ، فضلاً عن حواش تاريخية وجغرافيّة وادبية ولغويّة تزيد في قيمة هذا الكتاب الفريد في نوعه ، فانه ، دون حواش ، كاللغز في كل صفحة من صفائحه لما يعتور شعره ، على الاخص ، من الالفاظ والتراكيب البعيدة عهداً عن اساليبنا العصرية في البيان والمعاني . ولذلك لا يسعنا الا الثناء ايضاً على واضع الفهارس فسوف يرجع اليها العلماء في سبر غور هذا البحر والتقاط الدرر منه ونظمها عقدًا تنعكس عليـه حوادث القرن السابق للهجرة والقرنين الاول والثاني بعدها ، فنستمد منه نورًا لا نزل بحاجة اليه والدروس التاريخيـة بيننا هي في مهدها .

اليك اسماء الشعراء المشهورين المذكور اسمهم ونسبهم في الجزء السادس : الصمة القشيري ، داود بن سلم ، دحمان ، اعشى همدان ، احمد النصبي ، حماد

الزاوية، عبادل، المرقش الاكبر، والاصغر، سياط، نبيه، سليم، ابن عباد، يحيى المكي، النميري، وضاح اليمن، ابو ذؤيب، حكم الوادي، ابن جامع.

وينتهي الكتاب بذكر ابي سفيان وفيه الخبر الذي ينسبه المؤلف الى التاريخ، ومن المعلوم انه غير ثابت، فيما كتب من الرسائل الى هرقل وما كان من امره وامر بطارقته (ص ٣٤٨)[1]

اما الجزء السابع ففيه اخبار الوليد بن يزيد، وحسين بن الضحاك، وكان ولا بد من نشرها لئلا ينقص جزء من الكتاب، ولكن من الواجب ان ترفع من بين ايدي الناشئة لما فيها من ذكر حوادث المجون. ف. ت.

أسرار اللاسلكي

بقلم نجيب يوسف البستاني

١٦٦ ص. متوسطة – مطبعة المخلص، بيروت، ١٩٣٥ – الثمن: ٥٠ غرشاً سورياً

هو كتاب فريد في بابه باللغة العربية، وضعه المهندس الكهربائي نجيب يوسف البستاني، بعد ان قضى في جامعة غرينوبل، وفي المعهد الفني الباريسي السنين الطوال، فامعن في درس اللاسلكية ومظاهرها المتنوعة، ورأى افادة

---

١) خلاصة الخبر ان ابا سفيان خرج الى الشام بتجارة فسأله هرقل عن احوال نبي المسلمين، فاجابه بما ادّى به الى الاقرار بنبوة محمد. ثم وفد الى هرقل دحية ابن خليفة الكلبي، ومعه كتاب محمد الى ملك الروم، وفيه الدعوة الى الاسلام، فكاد هرقل يعتنق الاسلام لولا معارضة بطاركته.

وما الفصل الا احد فصول البعثات التي ينسبها المسلمون الى محمد وقد يذكرها مؤرخوهم: فهي البعثة الى النجاشي ملك الحبشة، والى المقوقس صاحب مصر، والى هرقل ملك الروم، والى كسرى ملك الفرس. وقد عم خبرها وتداولته الاقلام من غير ما تمحيص الى ان تعرض له المستشرقون المحدثون، واخصهم كايتاني، فاثبت ان ما ينسب من الوقائع والاخبار عن الملاقات بين محمد والملوك قد كُتب زماناً بعد ابن اسحاق صاحب السيرة. فان يكن فيه مادة لتغذية العاطفة الدينية، فليس فيه من الحقائق الثابتة تاريخياً ما يرضي العقل. ذلك واضح من تناقض التواريخ وعدم امكان التوفيق بين المؤرخَين الاقدمَين ابن اسحاق والواقدي. راجع VIRGINIA VACCA; *Le Ambascerie di Maometto ai Sovrani Secondo Ibn Ishâq e Al-Wâqidi.* [*Rivista Degli Studi Orientali*, vol. X, p. 87 sqq., an. 1923]

بني لغته في هذا الفن فوضع هذا المؤلف مُلماً في اوله بمعلومات تمهيدية في القدرة الكهربائيــة ، والاشعاع ، والتموّج ، منتقلاً الى الاذاعة ومأخذها ، والمحوّلات والمضخّمات ، وما يعرض للاذاعات من اصداء ، وما هي وسائط الوقاية منهــا ، وكيف تُصلح الآلات المعطّلة ، منتهياً الى تطبيقات متنوعة للاسلكي . وقــد ألحق بالكتاب جدولاً واسعاً بتموّجات الاذاعات اللاسلكية الاوربيــة . كل ذلك بلغة سهلة واسلوب لطيف زادته وضوحاً تلك الرسوم المتقنة المتعــددة ، فجاء الكتاب مما لا يستغني عنه هواة اللاسلكية ، ولا ذوو الاختصاص بها من ابناء اللغة العربية .

ف . ا . ب .

الحكيم وسلمى

بقلم توفيق حسن نادر الشرتوني

١٣٦ ص . متوسطة – بيروت ١٩٣٣

ان سُئلتَ ما الرواية واجبت معتمداً كتاب « الحكيم وسلمى » فقد اخطأت السبيل الى تحديدها وشططت . لم تكن الرواية يوماً في عرف اديب مــا هي اليوم في عرف صاحب الكتاب . والغريب انه ، وقــد شهد دون شك تطوّر الرواية العصريــة ووصولها الى ما وصلت اليه من الرقي والفن ، يعود بها الى اوائل عصرها فيتخذها في اقبح مظاهرها ويؤلف روايته ، الحكيم وسلمى ، فتأتي مجموعة من الحوادث العاديّة مازجتها عظات في الحب واليأس والشقاء ، في الخطبة والزواج ، والحياة على الاطلاق ، سبيتها اخبار سلمى عن تعشقها شاباً يطلب العلم في بيروت واخبار الحكيم عن عشق لــه مضى . وقد يرى القارئ قبح الاسلوب ، ان هو اقدم على قراءتهــا ، عندما يقاطع الحكيم سلمى عن سرد حبها فيدلي بنصيحة او بملاحظة ، وكلهــا نصائح وملاحظات لا يجد حكيمنا عليها ، وكأنه قضى على نفسه بنفسه عندما قال (ص ٢١) : « لا لستُ الا رجلاً ساذجاً » . ولم يتأخر صاحبنا عن عرض نصائحه تحت اعداد وارقام بلغت به احيــاناً الى العشرة (ص ١٣١) فهبط بالاسلوب الروائي الى اساليب زجال الدواوين وارباب الشرع .

وانْ ننسَ لا ننسَ رغبته في الظهور بمظهر الشاعر ، اذ قــام يخبر سلمى بغرامه الاول ، وما نتج له عنه من عذاب ، وما اسال من شعر . وكاني به لم يرَ مجالًا لتدوين هذه الابيــات في غير هذه الرواية ، فانزل فيها قصائده حشرًا بينًا ، وقد تراها جميعها مقدّمة بمثل قوله (ص ٩٠) : « وقد نظمت قصيدة في هذا المعنى لا تزال بعض ابياتها عالقة بذهني وها هي على علاتها . . . »

وينهال عليك هذا البعض فاذا هو قصيدة تحار كيف تنعتها . او مثل هذا : « وهاجني الوجد اليها يومًا فنظمت قصيدة هذه بعض ابياتها » — ولم يكن هذا «البعض» بافضل من «البعض» الاول. ا . ح .

تقويم بكفيا الكبرى وتاريخ اسرها

ألفه الشيخ ادمون بليبل

٢٩٥ ص . متوسطة — مطبعة العرائس ، بكفياء ١٩٣٥ — الثمن : ٥٠ غرشًا سوريًا

هي مجموعة مفيدة لما احتوت عليه بكفيا ، والمحيدثة ، وساقيــة المسك ، وبجرصاف من منشآت ومصانع ؛ مع ذكر اسرها القديمة والحديثة وتاريخ بعضها وترجمة مشهوريها من رجال الدين والدنيا ، مما كلف المؤلف جهدًا دائمًا يشكره له ارباب وطنه ، دون شكّ ، واقصى مناه « ان يحمل ساقية المسك وجاراتهــا الثلاث على رأسه ليرفعها كلها الى العلاء ويضعها فوق النجوم . » (ص ٢٣٥) .

اما المعلومات التاريخيــة عن الاسر والاحداث فاكثرها مستند الى روايات تقليدية شفهية ، او الى استنتاجــات تفتقر الى اثبات علمي . هذا وقد يشط بالمؤلف قلمه ، في حبه لوطنه ، فيفرد فصلًا لذكر « الدول التي حكمت سورية ولبنان بعد الطوفان ، ولا تزال آثار بعضها باقية في ناحية بكفيا الى الآن » ثم يذكر ٣١ دولة من الكلدان الى الجمهوريــة اللبنانية ، ولا نعلم ان اكثرها اثرت شيئًا في مجرى حياة بلدته ، ولو كانت آثارهــا « لا تزال باقية في ناحية بكفيا الى الآن » ، لكانت بكفيا من اعظم متاحف الكون . . .

ف . ا . ب .

يزداندوخت الشريفة الاربيلية

بقلم القس سليمان صائغ

جزءان في ٣٦٠ ص. متوسطة - مطبعة النجم الكلدانية ، الموصل ، ١٩٣٤

اوفر الروايات لذة وفائدة هي تلك التي تمتزج فيها القصة بالتاريخ ، وسرد الحوادث بالدرس النفسي ، وتحليل العاطفة الفردية بتحليل المشكل الاجتماعي . ومنها هذه الرواية التي اورد فيها المؤلف فصولاً اخلاقية تمثل مواقف من التجرد والتضحية في خدمة الوطن ، كما عرض لقضية تاريخية ما زالت في ظل كثيف من الغموض ، كما يقول ، وهي زمن دخول النصرانية الى العراق وما بين النهرين . وهكذا جمع بين التاريخ والقصة ، بين السرد والتحليل العاطفي ، فاذا احوال العراق على عهد الساسانيين ماثلة امامنا كانها من احوال عصرنا الحاضر ، واذا بنا نطلع على ما كان يشعر به قسم كبير من سراة وعامة تلك الشعوب ، فنعرف لتلك الحقبة من التاريخ العراقي قيمتها المدنية العالية ، ونعرف للمؤلف فضله الجزيل. ف. ا. ب.

* البيت الكرمي في اهدن * ٤٨ ص. متوسطة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٥ - هي المخطوطة عن رحلة الامير دي جوانثيل الى لبنان التي نشرها في « مشرق » هذه السنة الاب اغناطيوس طنوس الخوري كفرشخنا ، طبعها على حدة ، بعد ان اضاف اليها مقدمة في البيت الكرمي واصله ، ومشاهيره مع صورهم ، وذكر من زاره من الامراء والعظماء .

* الام ماري روز غانم * ٢٦ ص. صغيرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٤ - نبذة في حياة الام ماري روز غانم من راهبات القلبين الاقدسين (١٨٧٦-١٩٣٢) ، ابنة البطل اللبناني ابي سمرا غانم ، ظهرت اولاً في « رسالة قلب يسوع » ، ثم على حدة .

* خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت عن سنة ١٩٣٤ * ٦٥ ص. صغيرة ، بيروت ، ١٩٣٥ - هي السنة الخامسة والسبعون لعهد تأسيسها في بيروت .

* تقرير عن اعمال الجمعية الخيرية للقديس منصور دي بول في دمشق ، عن سنة ١٩٣٤ * ٥٦ ص. متوسطة ، مطبعة القديس بولس ، حريصا - هي السنة الحادية والسبعون لتأسيسها في دمشق .

* جمعية اصدقاء الاشجار في لبنان * تقرير عن زراعة الاشجار المثمرة مقدم الى ادارة الجمعية من احدى لجانها الفرعية ، يوم عيد الشجرة ٥ ايار ١٩٣٥ - ٨ ص. متوسطة ، مطبعة الريحاني ، بيروت ١٩٣٥ .